

شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذي طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - البيـت الصغـير ..

وقفت (غادة) تتطلع إلى المنزل الذى زينته الأضواء والمصابيح الملونة ، وقد اغرورقت عيناها بالعبرات .

إنه المنزل الذى ولدت فيه وشهد طفولتها وصباها وشبابها ..

عاشت فيه أيامًا جميلة لا تنسى .. لكنها سرعان ما تمردت عليه وعلى تلك الأيام .. وأصبح حلمها الوحيد أن تفارقه .

لم يكن منزلا كبيرًا .. بل بيتًا صغيرًا من تلك البيوت التى يزخر بها أحد الأحياء المتواضعة فى (الدرّاسة) ...

فقد كان مكونًا من ثلاثة طوابق فقط .. كل طابق يضم شقة واحدة .. وكان نصيبها هى وأمها أن تعيشا فى الطابق الثانى من المنزل .

تعالت الزغاريد المنبعثة من المنزل فجأة لتنبهها من شرودها ، فحاولت أن تعود من حيث أتت

لكن إلى أين تعود ؟ وإلى أين تذهب ؟

لم يعد لها مكان تلجأ إليــه .. بعـد أن أضـاعت بأطماعها وتمردها على الحياة التى كانت تعيشها كل شىء .

لقد فقدت الأحباء .. والأصدقاء .. وتسربت الأحلام من بين يديها فلم يعد لها الحق فى أن تحظى بالحب مرة أخرى ، أو تستعيد صداقة فقدتها ، أو تحلم من جديد .

حتى هذا المنزل أصبح يرفض عودتها إليه .

فقد تمردت عليه ذات يوم ، فلم يعد لها الحق فى أن تجد لنفسها الأمان الذى تبحث عنه بين جدرانه .

إنه يلفظها الآن .. كما لفظته من قبل .. يلفظها بكل سكانه وبكل جدرانه .

وانحدرت عبرة فوق وجنتها ، وهى تستعيد ذكرياتها القديمة التى عاشتها فى هذا المنزل .

فى تلك البيوت الضيقة المتجاورة يكون التآلف سريعًا والعلاقات متداخلة بين سكان المنزل الواحد .. بل وبين سكان الحى الواحد ، وتجد الكثيرين يتدخلون فى شئونك كما لا يجدون غضاضة فى أن يسمحوا لك بالتدخل فى شئونهم .

وقد يتبرم البعض من ذلك أحيانًا .. لكنه يجد نفسه أخيرًا مستسلمًا لواقع الأمر الذى تفرضه عليه حياته فى هذا المكان فحتى لو أراد أن يحتفظ لنفسه ببعض الأسرار التى يحرص على إخفائها عن الآخرين .. فإنه لا ينجح فى ذلك دائمًا ، ذلك لأن المنازل المتجاورة فى هذا الحى على نحو تكاد معه أن تكون متلاصقة تمامًا .. والجدران الضعيفة التى تفصل بين الشقة والأخرى .. وبين المنزل وما يجاوره من منازل ؛ تجعل من السهل أن تتسرب منها الأصوات ليسمعها الآخرون .. خاصة إذا كانت هذه الأصوات عالية وصاخبة على النحو الذى اعتاده معظم أهالى الحى .

وعلى أية حال فإن تلك العلاقات المتشابكة والمتداخلة فى مثل تلك الأحياء .. لا تدعو كلها إلى الضيق والتبرم .

بل إن لها جانبًا آخر يستحق التقدير والإشادة .

فمشاركة الجيران لبعضهم فى الأحزان والمسرات تتجاوز بكثير مثيلتها فى الأحياء الراقية .

وكذلك إحساسهم بشعور المسئولية تجاه جيرانهم ، واستعدادهم الدائم لتقديم يد المساعدة فى الأزمات ؛

كل تلك الأشياء تميز أو كانت تميز هذه الأماكن .. وإن كانت قد أصبحت فى طريقها للانقراض حتى فى تلك الأحياء الفقيرة ، برغم كونها مصدر الثراء الوحيد الذى يمكنهم أن يباهوا به سكان الأحياء الراقية والأثرياء الحقيقيين .

فقد تغير الزمن وتبدلت معه تلك القيم التى كانت تسكن مع هؤلاء البسطاء ويتربون عليها .

واكتسح زماننا الحالى بقيمه المادية المؤثرة الكثير من هذه القيم ، لتختفى تدريجيًا وتصبح من ذكريات الماضى .

إلا أن ذلك المنزل الصغير ظل متميزًا فى علاقات سكانه وارتباطهم ببعضهم ، كما لو كانوا يشكلون أسرة واحدة يسكن أفرادها فى ثلاث شقق مختلفة .

حتى إنهم كانوا يطلقون عليه بيت العائلة رمزًا لهذا الترابط الذى يجمع بينهم .

كان المتنفس الوحيد للأطفال الذين يقطنون هذا المنزل والمنازل المجاورة هو تلك الحديقة الصغيرة التى أقامها أهالى الحى بالجهود الذاتية .

وفى الحقيقة فإنها كانت تسمى بالحديقة تجاوزًا ..

لأنها كانت مجرد مساحة صغيرة من الأرض بها بعض الحشائش الخضراء ، التى تتخلل أرضًا ترابية بعد أن فقدت الجزء الأكبر من خضرتها ، كما فقدت الحشائش المتبقية بها نضارتها بسبب لعب الأطفال المتواصل عليها ليلاً ونهارًا .

وفى هذه المساحة الصغيرة التى تقع بالقرب من المنزل مباشرة ، كانت (غادة) تلعب مع أقرانها من الأطفال أحيانًا وبمفردها أحيانًا أخرى .

وبرغم أنها لم تعد تسعد كثيرًا بلعبها فى هذا المكان ، إلا أنه كان بالنسبة لها أفضل بكثير من البقاء داخل هذه الشقة الضيقة ، التى لا تحتوى إلا على حجرتين وصالة صغيرة تتوسطها ماكينة الخياطة التى تعمل عليها والدتها معظم ساعات الليل والنهار ، ولا تفارقها إلا وهى منهكة تمامًا .

لقد توفى والدها وهى فى سن مبكرة وبرغم أن دخله كان بسيطًا ، ولا يكفى بذاته للقيام بعبء مصاريف المنزل ، مما جعل زوجته تحترف مهنة الخياطة لتساعد زوجها على تحمل أعباء المعيشة .. إلا أنها لم تكن مضطرة فى حياة زوجها

إلا للعمل لبضع ساعات محدودة ، كانت تكفى للإسهام فى هذه الأعباء ، أما بعد أن مات الأب .. فلم يعد أمام هذه الأم المسكينة التى ضعف بصرها وتقوس ظهرها من الانحناء المتواصل على ماكينة الحياكة سوى أن تضاعف من جهدها ، وتواصل العمل ليلاً ونهاراً لكى تعوض غياب الأب ، وتربى ابنتها دون أى شعور بالنقص أو الحرمان ، بعد أن تيتمت وهى فى هذه السن الصغيرة .

وقد نجحت الأم فى ذلك فى حدود قدراتها وامكانياتها وعلى حساب راحتها وصحتها .

وفى الطابق الأول كان يقطن (حسين عبد الرحيم) ذلك الشاب الذى جاء من بلدته فى الريف ليعمل محاسباً لدى إحدى شركات المقاولات ، بعد أن حصل على توصية من أحد وجهاء البلدة .

وبفضل هذه التوصية استطاع أن يحصل على وظيفة فى شركة المقاولات ، لكنها كانت وظيفة متواضعة لا تتناسب مع مؤهله ولا طموحاته .

وسرعان ما استطاع بفضل جهده ونشاطه وذكائه .. وتفانيه فى العمل أن يكتسب ثقة صاحب الشركة ،

وأن يرتقى فيها عدة مناصب مختلفة حتى أصبح رئيساً لإدارة الحسابات .

كما أصبح ينظر إليه باعتباره الرجل الثانى بها ، لفهمه التام لكل ما يتعلق بشئون العمل .. وخبرته الكبيرة التى حصل عليها من تنقله بين أقسام الشركة المختلفة .. ومن صاحب العمل نفسه الذى أصبح يطلعه على كل صغيرة وكبيرة فى الشركة .. ولا يخفى عليه شأن من شئونها لثقته التامة فى كفاءته وإخلاصه .

وقد أحضر (حسين) أخاه من البلدة ليقيم معه فى هذه الشقة المتواضعة ، ويلحقه بالمدرسة متوليًا كل شئونه باعتباره ولىّ أمره بعد أن توفى والدهما ..

وبرغم الجهد الذى كان يبذله (حسين) فى عمله .. والساعات الطويلة التى كان يقضيها فى الشركة ؛ إلا أن ذلك لم يمنعه من القيام بواجبه نحو أخيه .

فكان يشرف على إعداد طعامه بنفسه ، وشراء ثيابه وغسلها ، ومتابعته فى دراسته بأكثر مما كان يمكن أن يفعل والداه لو كانا على قيد الحياة .

وبرغم الدخل الكبير الذى يحصل عليه (حسين)

من عمله فى شركة المقاولات إلا أنه كان مقتصدًا للغاية فى مصروفاته .

ولم يفكر فى الانتقال لشقة أخرى أكبر وأرقى تتناسب مع منصبه الجديد فى الشركة .. برغم أنه أصبح يمتلك رصيدًا لا بأس به من المدخرات فى البنك .

حتى أثاث الشقة المتواضع لم يفكر فى أن يستبدل به أثاثًا جديدًا أو يضفى عليه أية لمسة جمالية .

لقد ظل دائمًا على نفس الصورة التى كان يبدو عليها من قبل ، حينما جاء ليسكن فى هذه الشقة لأول مرة .

فلم يكن يبدى اهتمامًا كبيرًا بمظهره وأناقته .. قدر اهتمامه بعمله وحرصه على ماله .

وكان شعاره دائمًا أن القيمة الحقيقية للرجل هى عمله وليس مظهره . لكنه كان فى الحقيقة نظيف اليد لا يقبل أى قرش يمكن أن يأتيه بطريقة غير سليمة أو مشروعة .. وظل صاحب مبدأ لا يتزعزع فى هذا الشأن .. وهو ما جعل صاحب الشركة يثق به ويأتمنه على أموالها .

كل ما زاد عليه منذ أن جاء ليسكن فى هذه الشقة ، وخلال صعوده إلى أعلى المناصب فى الشركة هو بدلتان جديدتان فقط أضيفتا إلى البدلتين اللتين لم يكن يمتلك سواهما فى حياته .. وبعض الملابس الأخرى التى اشتراها بأسعار زهيدة .

حتى اشتهر فى المنزل وفى الحى الذى يقطنه بالبخل والتقتير .

لكنه فى الحقيقة لم يكن يبخل على أخيه فى احتياجاته الأساسية .. ولم يقصر فى طلباته .. وإن كان ذلك فى الحدود المعقولة ودون أن يصل الأمر إلى حد الإسراف والبذخ الذى كان يطالبه به أخوه أحيانًا ؛ لكنه ظل دائمًا يفضله على نفسه .

أما فى الطابق الثالث فكان يسكن الأستاذ (منصور) .. أو عم (منصور) كما كانت تطلق عليه (غادة) .. وهو رجل يقترب من الخمسين .. وقد تزوج فى سن متأخرة .. لذا لم يحظ إلا بطفلة صغيرة تماثل فى عمرها (غادة) وهى ابنته (نهلة) .

وكان يعمل موظفًا فى هيئة السكك الحديدية .. لكنه تمرد على الوظيفة وقرر تسوية معاشه مبكرًا ،

لإقامة مشروع تجارى صغير بما جمعه من مدخرات .. وقد أخذ يحلم بأن يكون ذات يوم من رجال الأعمال الكبار .. لكن مشروعه فشل سريعًا .. وخسر معه كل ما كان يدخره من مال .. لتتولى زوجته التى كانت تعمل ممرضة بإحدى المستشفيات الخاصة مسئولية إعالته هو وابنتهما الصغيرة .

وكانت (نهلة) بطبيعتها تتمتع بشخصية هادئة رقيقة وكانت كالنسمة بالنسبة لوالديها .

النسمة التى تخفف عن الأب فشله فى عمله ، وعن الأم معاناتها من أجل الإنفاق عليهما .. فهى طفلة وديعة محبوبة بطبيعتها .

لكنها لم تكن على قدر من الجمال يماثل ما تحظى به صديقتها فى الطابق الثانى ، فـ (غادة) كانت جميلة جمالًا أخاذًا منذ نعومة أظفارها ..

وكانت موضع إعجاب الجميع مما جعل والدتها تخشى عليها من الحسد .

وقد نشأت (غادة) وهى ترى هذا الإعجاب فى عيون كل من يراها ، وترى تهافتهم على مداعبتها وملاعبتها ، وترديد كلمات المديح على مسمعها بقدر لم تكن تحظى به صديقتها (نهلة) .

مما جعلها تهتم بهذا الجمال الذى منحها الله إياه ، لتصبح محط الاهتمام منذ الصغر .

وبقدر ما كانت الأم فخورًا وسعيدة بجمال ابنتها .. بقدر ما كانت تشعر بالقلق عليها من تأثير إحساسها بجمالها على طريقة تفكيرها وتعاملها مع الآخرين .. وتأثيره على شخصيتها .

وعندما جاء (حسين) وأخوه من بلدتهما ليقيما فى هذه الشقة الصغيرة ، لقيا كل ترحيب ورعاية من جيرانهم .

حتى إن (حسين) كان يترك أخاه الصغير فى رعايتهم أحيانًا كلما اضطرته ظروف العمل إلى التأخير أو السفر .

وكانت الأسرتان تسهمان أحيانًا فى إعداد بعض وجبات الطعام لهما أو غسل ثيابهما .. حتى صارا وكأنهما عضوان فى هاتين الأسرتين .

وكانت (غادة) بحكم طفولتها وطبيعتها المرحة تتردد على أية شقة من تلك الشقق التى يضمها بيت العائلة ، فى أىّ وقت ودون استئذان ، لتلعب أحيانًا مع صديقتها (نهلة) وتقضى بعض الوقت مع

صديقها (مجدى) الذى كان يكبرها بثلاث سنوات فقط .. فى حين كان أخوه (حسين) الذى يكبرها باثنين وعشرين عامًا يعتبرها بمثابة ابنة له .

وكان يخرج معها أحيانًا عن القواعد الاقتصادية الصارمة التى وضعها لنفسه فى تعاملاته مع الآخرين ؛ فيقدم لها بعض الحلوى والشيكولاتة .. أو يدعوها إلى نزهة صغيرة هى وأخاه بعد استئذان والدتها .

وهكذا سار الحال بتلك الأسر البسيطة الثلاث .

فبرغم الحياة المتواضعة التى كانوا يحيونها ، والظروف المعيشية القاسية التى كانوا يعيشونها ؛ إلا أنهم مستعدون دائمًا لتقديم يد المساعدة لبعضهم .. وكانت تجمعهم صلات قوية من المودة والترابط .

وذات يوم كانت (غادة) مع والدتها فى إحدى تلك الزيارات المعتادة لشقة الأستاذ (منصور) وزوجته ..

وكانت (غادة) منهمكة فى اللعب بإحدى الدمى التى تمتلكها صديقتها (نهلة) ؛ بينما كانت أمها تساعد ابنة صديقتها على ارتداء الثوب الذى حاكته خصيصًا من أجلها ، وقررت أن تهديه لـ (نهلة) بمناسبة عيد ميلادها ..

أما الأب فكان جالسًا بالقرب من النافذة يتناول كوبًا من الشاى ويتصفح إحدى المجلات .

قالت والدة (نهلة) لصديقتها وهى تتأمل جمال الثوب على ابنتها :

- يا له من ثوب جميل ! تسلم يداك .. لكن لم يكن هناك داعٍ لأن تحملى نفسك هذه المشقة .

ابتسمت والدة (غادة) قائلة :

- وهل لدى من هى أغلى من (نهلة) لأتعب من أجلها ؛ عقبى لليوم الذى أعد فيه لها فستان عرسها .

قالت لها والدة (نهلة) :

- سلمت يداك يا أم (غادة) .

أمسكت أم (غادة) بذراعى (نهلة) وهى تبعدها قليلاً عنها قائلة :

- دعينى أر الفستان عليك هكذا .

وأردفت قائلة وهى تتأملها بإعجاب :

- الله ! إنك تبدين فيه جميلة للغاية .

تأملت الطفلة نفسها فى المرآة وهى مبتهجة .

بينما سألتها والدة (غادة) قائلة :

- هل أعجبك الفستان يا (نهلة) ؟

قالت الطفلة وهى تتأمل ثوبها بسعادة :

ـ نعم .. إنه جميل جدًا .

بينما نظرت (غادة) إلى صديقتها وقد أطلت من عينيها نظرة تنم عن الغيرة .

فقد كان الفستان يبدو جميلاً عليها بالفعل .

كما إنها لم تعتد أن تتواجد فى مكان تكون فيه مهملة على هذا النحو ، دون أن يشعر أحد بوجودها .

ونظرت الزوجة إلى زوجها فى لوم قائلة :

ألا تشكر الست (علية) على هذا الثوب الجميل الذى صنعته لابنتك ؟

أبعد عينيه عن المجلة وهو يتطلع إلى ابنته من وراء عدسات عويناته قائلا دون حماس :

شكرًا يا ست (علية) .. سلمت يداك .

قالت له أم (غادة) مبتسمة :

ـ العفو يا أستاذ (منصور) .. إن (نهلة) مثل ابنتى تمامًا .. ونحن بمثابة أسرة واحدة .

هزّ رأسه قائلا وهو يعود إلى تصفح المجلة :

ـ بالطبع .. بالطبع ..

ولم تحتمل (غادة) أن تحظى صديقتها بكل هذا الاهتمام دون أن يعيرها أحد التفاتا .

تعمدت أن تلقى بصندوق الدمى الخاص بـ (نهلة) من فوق المنضدة الصغيرة لتتناثر الدمى على الأرض .. وقد انفصلت بعض أجزائها .

فصاحت (نهلة) بانزعاج قائلة :

ـ ما هذا ؟ لقد أتلفت لعبى .

بينما نهرتها أمها قائلة :

لماذا فعلت ذلك ؟

أجابتها (غادة) بصوت خافت ، وهى تصطنع البراءة :

لقد حدث هذا دون قصد منى .

تدخلت والدة (نهلة) قائلة :

ـ لم يحدث شىء .. لا داعى لأن تنهرى الطفلة هكذا .

وسارعت (نهلة) بجمع لعبها والعمل على إعادة الأجزاء المنفصلة من الدمى إلى مكانها .. وقد أخذت (غادة) تساعدها فى ذلك .

بينما راقب الأب ما يحدث أمامه بهدوئه المعتاد .. دون أن يعقب بشىء ، وهو مستمر فى تصفح المجلة .

وفجأة أخذ ينظر إلى (غادة) باهتمام شديد ..

ثم هب واقفًا وقد تخلى عن هدوئه قائلاً بحماس هذه المرة :

ـ تعالى إلى هنا يا (غادة) !

نظر إليه الجميع باستغراب .. وقد أدهشهم انفعاله المفاجئ هذا .

بينما ارتعدت الطفلة .. وقد ظنت أنه سيعاقبها لإتلافها للدمى التى كانت تحتفظ بها ابنته .

* * *



٢ ـ فتاة جميلة ..

لكنه لم يبد غاضبًا .. بل أخذ يتأملها باهتمام ، وهو يطلب منها أن تضحك أو تبتسم .

وسألته أمها قائلة :

هل هناك شىء يا أستاذ (منصور) ؟

أجابها قائلاً دون أن يرفع عينيه عن الطفلة :

ـ ابنتك ..

سألته قائلة :

ـ ماذا بها ؟

ـ إن ابنتك جميلة للغاية .

قالت له والدة (غادة) .

ـ أشكرك .

ـ كلا .. إننى أعنى ذلك حقًا .. لقد قرأت منذ قليل خبرًا فى المجلة التى اتصفحها عن مسابقة ستعقد الأسبوع القادم لاختيار أجمل طفلة فى القاهرة .. وأظن أنه لو دخلتها ابنتك فإنها سوف تكسبها .

ابتسمت الأم وقد أسعدها هذا التقدير لجمال ابنتها .

- أشكرك مرة أخرى .. لكنك تبالغ قليلا .. إننى أعرف أن طفلتى جميلة .. لكن لا بد أن هناك من يفقها جمالاً فى مدينة كبيرة كمدينة القاهرة .

قال لها بإصرار وهو يتطلع إلى الطفلة :

- كلا .. إننى واثق أنها تستطيع أن تربح هذه المسابقة .

ثم أردف قائلاً :

- اسمعى .. هل معك صورة صغيرة لها ؟

أجابته قائلة :

- بل عدة صور .

- حسن .. أحضريها جميعًا وسنختار أفضلها .. لأرسلها إلى المجلة التى تقيم المسابقة .. وأنا واثق أنهم سيرشحونها للجائزة وأنها ستفوز .

قالت له الأم وقد استساغت الفكرة ، وبدأت تشاركه الاهتمام :

- حسن .. سأحضر لك الصور مادام هذا رأيك .

وكانت الطفلة تصغى باهتمام لما يقولونه .. وما لبثت أن قالت بثقة :

- نعم إننى أعرف أننى سأكون الأولى .

وضحكت الأم وصديقتها وزوجها من هذه الثقة المفرطة من جانب الطفلة ، لكن (غادة) لم تشاركهم الضحك .. بل نظرت إليهم باستغراب وهى لا ترى سببًا لهذا الضحك ، فهى واثقة أنها أجمل من الأخريات .

وبعد أن انصرفت الأم وابنتها لإحضار الصور ، التفتت الزوجة لتحادث زوجها ، وقد ارتسمت على وجهها علامات الغضب قائلة له :

كان يتعين عليك أن توجه هذا الاهتمام لابنتنا بدلاً من هذا الحماس الشديد لابنة (علية) .

نظر إليها بتعجب قائلاً :

- ماذا تعنين بذلك ؟

قالت له محتدة :

- ألم تكن (نهلة) هى الأولى بالمشاركة فى هذه المسابقة التى تتحدث عنها ؟

ضحك الرجل قائلاً :

- يا زوجتى العزيزة .. إن طفلتنا ليست جميلة .. ولعلك تدركين ذلك ..

أم أن القرد فى عين أمه ....؟

قاطعته قائلة وقد زاد انفعالها :

ـ قرد ؟! كيف تجرؤ على تشبيه ابنتنا بهذا الوصف المزرى ؟

قال لها محاولاً تهدئة انفعالها :

ـ آسف إننى لا أقصد هذا المعنى بالطبع .. فابنتنا ليست دميمة ..

لكن علينا أن نعترف بأنها ليست جميلة مثل ابنة (عليّة) .

فلنكن واقعيين .. إن هذه المسابقة لاختيار أجمل طفلة على مستوى مدينة القاهرة .. وطفلة جميلة مثل (غادة) هى التى يمكن أن تشارك فى مسابقة كهذه .

قالت له زوجته بعصبية :

ـ تشارك أم لا تشارك .. ما شأنك أنت بهذا ؟ هل هى من بقية أقربائك ؟

ابتسم زوجها قائلاً :

لم كل هذا الانفعال يا (كاميليا) ؟ هل تشعرين بالغيرة لأن ابنة الست (عليّة) جميلة .. ويمكنها أن تشارك فى مسابقة كهذه ؟

هل نسيت أنها مثل ابنتنا ؟ وأنها طفلة يتيمة ؟ وأنك تعتبرين أمها بمثابة أخت لك ؟!

قالت زوجته بارتباك وقد أحست بالخجل من نفسها :

ـ الغيرة .. ولم أشعر بالغيرة ؟ إننى سأسعد بالطبع لو ربحت (غادة) هذه المسابقة .. فهى مثل ابنتى كما تقول .. وأمها أخت وصديقة عزيزة لنا .. ولكنى فقط أردت أن أقول ....

قال لها ليعفيها من الحرج :

ـ لا تقولى شيئاً .. كل ما هنالك أن حبك الشديد لابنتك طغى على بقية المشاعر الأخرى التى تكنينها تجاه هذه الأسرة المسكينة .. والتى عبرت عنها الآن بمنتهى الصدق والإخلاص .

تأكدى أننى سأسعد لو قدمت شيئاً لهذه الطفلة اليتيمة .. أىّ شىء ولو كان صغيراً يمكنه أن يدخل السعادة على قلبها هى وأمها .

قالت له زوجته :

ـ معك حق يا (منصور) .

استمعت ابنتها للحوار الذى دار بينهما فى صمت .. ثم انسحبت من الحجرة فى هدوء وقد اعتراها إحساس بالحزن .

إنها تحب صديقتها (غادة) وتسعد دائمًا بلعبها معها .. برغم أنها تعاملها أحيانًا بأنانية واستعلاء .

لكنها لديها دائمًا هذا الإحساس بالنقص تجاهها .

فحتى والديها يريان أنها تفوقها جمالاً .. وأنها تستحق أن تشارك فى هذه المسابقة التى لا يمكن أن يكون لها أىَ أمل فى المشاركة فيها .

وأقيمت المسابقة وحصلت (غادة) على المركز الأول فيها ، وعلى لقب أجمل طفلة .. كما حصلت على مجموعة من اللعب الباهظة الثمن كجائزة لها على هذا الفوز .

وكانت أمها فى غاية السعادة لأن ابنتها اختيرت كأجمل طفلة .. كما بدا الأستاذ (منصور) سعيدًا أيضًا لأن حدسه كان صحيحًا .. ولأن ثقته بفوز (غادة) بالمركز الأول كانت فى محلها .

ولم يقتصر الأمر على الاحتفال الذى أقيم فى إحدى القاعات الكبرى بالفندق الأنيق الذى نظمت فيه المسابقة .. بل احتفل كل أهالى الحى بالفوز الذى أحرزته الطفلة فى منزلها الذى زينته الأضواء والأنوار .

وشارك فيه كل سكان المنزل ابتهاجًا بهذه المناسبة .

بينما ازدادت (غادة) غرورًا واستعلاء .. وقد نما بداخلها ذلك الإحساس منذ الطفولة بأنها الأجمل .. لذا فإنها تستحق دائمًا ما هو أفضل .

ومرت السنوات لتترك بصماتها على سكان المنزل الصغير فى حى (الدراسة) .

خمسة عشر عامًا أضيفت إلى عمر كل منهم وبدلت من ملامحه .

فصار الأستاذ (منصور) فى الخامسة والستين من عمره .. وقد تركت التجاعيد آثارها على وجهه ، دون أن يتخلى عن ذلك الحلم الذى ظل يراوده عشرات السنين ، وهو أن يقوم بعمل مشروع تجارى ناجح ينتقل به إلى مصافَ رجال الأعمال .

ذلك المشروع الذى لم ينجح فى تنفيذه قط .. وتحول بسببه إلى رجل عاطل بلا عمل قبل أن يصل إلى سن المعاش .. لتنوب عنه زوجه فى تحمل العبء الأكبر فى الإنفاق عليهما وعلى ابنتهما .

كما أصبحت الابنة (نهلة) شابة فى الثالثة والعشرين من عمرها ولم تختلف ملامحها .. كما لم تختلف طباعها كثيرًا عما كانت عليه فى طفولتها ..

فلم تكن على قدر من الجمال يجعلها محط اهتمام وإعجاب الآخرين ..

وإن لم تكن سيئة المظهر على النحو الذى يبعد الآخرين عنها .

كانت متوسطة الجمال من حيث المظهر .. أما من حيث الجوهر فقد كانت تمتلك جمالاً معنويًا غير عادى .

فقد احتفظت بطباعها الهادئة .. وقدرتها الهائلة على التحكم فى مشاعرها وقت الغضب والانفعال .

كانت حنونًا بطبيعتها وتمتلك قلبًا زاخرًا بالحب ونفسًا فياضة بالعطاء ..

كما ترك الزمن آثاره على كل من (حسين) وأخيه (مجدى) .

فقد أصبح (حسين) فى الخامسة والأربعين من عمره فهو قد دخل فى سن الكهولة ، ويبتعد تدريجيًا

أيضًا عن مرحلة الشباب دون أن يتزوج بعد .. ودون أن يحدث أىَ تبديل أو اختلاف فى حياته .

فما زال يسكن فى تلك الشقة المتواضعة فى الطابق الأول من المنزل ، وما زال قليل العناية بمظهره .. وليس لديه أية اهتمامات حقيقية بعيدًا عن مجال العمل .

وبقى كما هو مقترًا على نفسه .. وينفق كل قرش بحساب .. برغم تضاعف ثروته فى البنك .. وادخاره للجزء الأكبر من الراتب الكبير الذى يحصل عليه من شركة المقاولات .. والتى أصبح تقريبًا هو (الدينامو) المحرك لها ، بعد أن أصبح صاحب الشركة يعتمد عليه تمامًا .

أما (مجدى) فقد أصبح شابًا وسيمًا فى الخامسة والعشرين من عمره ..

وقد تخرج أخيرًا فى كلية الهندسة .. ولديه آمال وطموحات عديدة بالنسبة للمستقبل .

وتحولت صداقته القديمة لـ (غادة) إلى حب جارف ملك عليه كل حواسه وسيطر على مشاعره ، فأصبح حلمه الأول هو الزواج منها وأن تشاركه رحلة حياته .

وبرغم حبه وتقديره الشديد لأخيه الأكبر الذى تولى مسئولية تربيته ، ورعايته بعد وفاة والديه .. وكان له بمثابة الأب الحنون منذ طفولته وحتى أصبح مهندسًا ، إلاّ أنه كان ناقمًا على أسلوب الحياة الذى اختاره لهما أخوه ..

وكان يرى دائمًا أن منصب أخيه فى شركة المقاولات ، والراتب الكبير الذى يحصل عليه .. ورصيده فى البنك كان من الممكن أن يتيح لهما حياة أفضل بكثير من تلك التى يحيانها .

ولم يكن راضيًا عن هذا التقتير الذى يتبعه أخوه معه أو مع نفسه ، لكنه مع ذلك لم يكن ليستطيع أن يطالبه بأكثر مما قدمه له .. ولأنه برغم كونه شحيحًا فى إنفاقه ، إلا أنه كان يفضله دائمًا على نفسه وكان فى اعتقاده أنه لم يتزوج خصيصًا من أجل رعايته .

أما والدة (غادة) فقد استمرت فى كفاحها من أجل تربية ابنتها .

وكانت تغدق عليها من حنانها وعطائها وتلبية كل رغباتها حتى بدت كالشمعة التى تحترق لتنير لها الطريق .

وشبت (غادة) التى أصبحت فى الثالثة والعشرين من عمرها .. فتاة أنانية مدللة .. اعتادت منذ صغرها على الأخذ دون العطاء . وساعدها على ذلك ما حباها الله من جمال أخاذ .. لم تؤثر فيه السنون .. بل زادته فتنة وبهاء .

لقد اعتادت أن تكون موضع اهتمام وإعجاب الآخرين منذ الطفولة ..

وكان لتلك الجائزة التى حصلت عليها وهى فى الثامنة من عمرها تأثير بالغ فى حياتها .. زاد من إحساسها بتفوقها .. وبأنه يتعين عليها أن تحافظ دائمًا على هذا التفوق .. وأن جمالها يستحق دائمًا أن تحصل من أجله على العديد من الجوائز .

خاصة وأنها كانت ترى تأثير هذا الجمال - كلما سارت فى الحىّ - على مشاعر وعقول الشباب الذى غدا كل منهم يحلم بأن يقترن بها .

ولم يكن حىّ (الدراسة) فقط هو الذى يحلم بهذه الزهرة العطرة التى تدير العقول وتثير المشاعر .

بل كل شارع تسير فيه .. وكل مكان تذهب إليه ..

لقد تعودت أن ترى نظرات الإعجاب التى تلاحقها والعيون المتطلعة إلى جمالها .

وكانت واثقة بأن جمالها هذا هو ثروتها الحقيقية وأنه يتعين عليها أن تستثمرها على النحو الأمثل .

ولم تجد فى شباب الحى ، ولا فى كل من تقدم للزواج منها ، أو ممن عرفتهم من يمكن أن يحقق لها تطلعاتها التى لا تعرف حدودًا ..

* * *



٣ - فارس الأحلام ..

نظرت إليها أمها شذرًا قائلة :

- أين كنت حتى الآن ؟

أجابتها (غادة) بدلال قائلة :

- لقد أخبرتك قبل أن أغادر المنزل .. كنت عند صديقتى (هيام) .

قالت أمها وهى تحدجها بنظرة غاضبة :

- حتى هذه الساعة ؟

نظرت (غادة) إلى ساعتها قائلة :

- إن الساعة لم تتعد العاشرة بعد .

قالت الأم محتجة :

- وهل من اللائق أن تظل فتاة مثلك خارج منزلها حتى العاشرة مساءً ؟

قالت (غادة) محتجة بدورها :

- ماما .. أنا لم أعد صغيرة .

- ولأنك لم تعودى صغيرة .. فلابد أن تراعى تصرفاتك .

قالت غاضبة :

- إننى لم أرتكب أى تصرف خاطئ .

- بل كل تصرفاتك خاطئة .. ولا تعجبنى .

- كل هذا لأننى عدت إلى المنزل فى العاشرة ؟

- ليس هذا فقط .. بل ثيابك الضيقة .. وذهابك إلى الأندية .. واختلاطك بفتيات من نوعية مختلفة عنا .. والمبالغة فى التزين .. وطلباتك التى لا تنتهى .. ورفضك لكل عريس يتقدم إليك .. وللحياة التى أكدح وأكد من أجل أن أوفرها لك .

قالت (غادة) متبرمة :

- هل ستعودين إلى هذا الحديث مرة أخرى ؟

قالت الأم بنبرة أكثر هدوءًا هذه المرة :

- اسمعينى يا بنيتى .. أنا ليس لى فى هذه الدنيا سواك .. لقد ضحيت بعمرى وشبابى من أجل تربيتك بعد وفاة أبيك .

وكنت أفضلك دائمًا على نفسى .. انحنى ظهرى ، ووهن جسدى ، وضعف بصرى ، وأنا منكبة على ماكينة الخياطة .. لكى أوفر لك كل متطلباتك ولم أبخل عليك بشىء .

أدخلتك أحسن المدارس .. وكنت مستعدة أن أصرف عليك كل قرش أكسبه لتواصلى تعليمك .. وتدخلى الجامعة وتصبحى طبيبة .

لكنك اكتفيت بالدراسة الثانوية بعدما لم تتمكنى من الحصول على مجموع يمكنك من الدخول إلى أية كلية مناسبة .

وبرغم ذلك كنت مستعدة لأن أتحمل مصاريف أى معهد من المعاهد الخاصة ..

قاطعتها (غادة) بضيق قائلة :

- أمى من فضلك لا داعى لتكرار ذلك .. فأنت تعرفين أننى أكره الدراسة والمذاكرة .

- ولم أعترض على ذلك .. ولكنى أردت أن أوضح لك فقط أننى لم أقصر فى استعدادى لمساعدتك فى الحصول على شهادة جامعية .

قالت (غادة) وهى ما زالت على تبرمها :

- أشكرك .. وأنا لست بحاجة إلى هذه الشهادة الجامعية .

- حسن .. ما دمت لست بحاجة إلى الشهادة الجامعية .. فعلى الأقل يمكنك أن تعملى بالشهادة التى حصلت عليها .. الشهادة الثانوية .

ـ وماذا أعمل بالشهادة الثانوية ؟ سكرتيرة فى شركة أم على آلة تحصيل النقود فى أحد المحلات التجارية ؟

ـ أىَ عمل يمكن أن تساعدينى به ، ويسهم فى مصاريف البيت .

ـ وهل تسمين هذا عملاً ؟

ـ إنه على أية حال أفضل من التسكع فى الشوارع والأندية ومصاحبة فتيات تعودن على حياة غير حياتنا ومستوى غير مستوانا .. ولهم طباع تختلف عن طباعنا .

ـ إنهم ليسوا أفضل منى فى شىء .. وليس من بينهم من هى أجمل منى .

ـ الجمال ليس هو كل شىء .. ولن يدوم لك يا بنيتى .. وهؤلاء الذين تختلطين بهم لا يمكن أن يكونوا أصدقاء لك .

أعرف أنك جميلة .. بل جميلة جدًا .. وهذا شىء يسعد أية أم ويخيفها أيضًا .. خاصة إذا كانت امرأة عجوزًا مسكينة مثلى ليس بجوارها رجل يؤازرها .. ويخفف عنها عبء مسئوليتها عن رعاية هذه الابنة .

إننى أخشى عليك من جمالك ومن نفسك يا (غادة) .. فأنت ما زلت صغيرة وعرضة للكثير من الأخطار وأنا يا بنيتى لم يعد لدى من الجهد ومن الصحة ما يمكننى من أن أرعاك كما يجب .. وأن أدرأ هذه الأخطار عنك .

لقد احترت معك يا بنيتى .. فقد رفضت أن تواصلى دراستك .. وترفضين أن تعملى .. وترفضين الزواج من كل من يتقدم لطلب يدك . وأخشى أن أموت وأتركك فى هذه الحياة وحيدة بلا سند .

لا شهادة جامعية .. ولا عمل .. ولا زوج يرعاك ويحميك .

من الخطأ أن تعتمدى فقط على كونك جميلة لتنالى ما تريدينه

فالجمال كما هو نعمة من المولى عز وجل فقد يكون نقمة أيضًا .

احتضنت الفتاة أمها وهى تلقى برأسها على كتفها .. وقد احتوتها الأم بين ذراعيها فى حنان قائلة :

ـ لا يا أمى أرجوك لا تذكرى سيرة الموت .. سامحينى يا أمى إذا كنت قد أسأت إليك .. وتأكدى أننى سأعمل على أن أحقق لك ما ترغبينه .. سأتزوج من شخص مناسب ترضين عنه ؛ لكى تكونى مطمئنة .

مسحت الأم على شعر ابنتها قائلة بحنان :

- بارك الله فيك يا بنيتى .. إننى آمل أن تتزوجى من رجل طيب يستحقك .. ويقيك شرور الزمن .. وقتها فقط يمكن أن أموت وأنا مستريحة ومطمئنة عليك ..

* * *

سمعا عدة طرقات على الباب .. فقامت (غادة) لتفتح حيث وجدت (مجدى) أمامها وقد أمسك فى يده بقميصه .. وهو ينظر إليها فى صمت وارتباك .

نظرت إليه مستغربة لحضوره فى هذه الساعة قائلة :

- (مجدى) ؟

قال لها بصوت خافت :

- مساء الخير يا (غادة) .

نادتها أمها قائلة :

- من يا (غادة) ؟

أجابتها قائلة بصوت عالٍ :

- إنه (مجدى) يا أمى .

- ولماذا تتركينه واقفا على الباب هكذا ؟ تفضل يا بنى .

دخل (مجدى) على استحياء قائلاً :

- مساء الخير يا (طنط) .. آسف إذا كنت قد جئت فى هذا الوقت المتأخر .

قالت له الأم سريعًا :

- لا تقل هذا .. إنها شقتك .. تأتى فى أى وقت .

مد لها يده بالقميص قائلا :

- فى الحقيقة لقد تمزق كتف هذا القميص .. وأنا أريد أن ارتديه غدًا لأننى على موعد مهم .

ففكرت لو كان من الممكن أن أحضره لك .. لكى تصلحى هذا التمزق .. إن لم يكن فى هذا ما يثقل عليك ؟

تناولت الأم القميص من يده وهى تبتسم قائلة :

- هذا شىء بسيط يا بنى .. دقائق قليلة حتى تشرب الشاى ويكون جاهزًا .

ونظرت إلى ابنتها قائلة :

- قدمى كوبًا من الشاى لـ (مجدى) حتى أنتهى من حياكة القميص يا (غادة) .

قال لها بارتباك :

- لا داعى لذلك .

قالت (غادة) .

ـ إن الشاى على النار .. ولن نتعب فى شىء .

توقفت الأم لدى باب الحجرة التى توجد بها ماكينة الحياكة ، لتلقى نظرة سريعة على وجه (مجدى) وهى تبتسم :

فقد كانت مظاهر الحب واضحة على وجهه ، وهو ينظر إلى ابنتها بتلك النظرات السريعة المختلسة .

إنها ليست المرة الأولى التى ترى فيها تلك النظرات فى عينيه .

فطالما رأتها من قبل .. وهى واثقة تمامًا من أن (مجدى) يحب ابنتها ..

وأن حبه لها ليس وليد اليوم وإنما نما معه منذ طفولتهما .

وكانت تتمنى دائمًا من أعماق قلبها لو أنه أصبح زوجًا لابنتها .. فهو شاب دمث الخلق .. وسيم المظهر .. وينتظره مستقبل باهر بعد تخرجه فى كلية الهندسة .

فضلاً عن أنه تربى فى هذا المنزل كما لو كان ابنًا لها .

لكنه لم يعلن عن رغبته فى الزواج من (غادة) حتى الآن برغم أعراض الحب الواضحة عليه .

ربما لأنه لم يتخرج فى كليته إلا حديثًا .. وربما لأنه يتحين الفرصة المناسبة ليفاتحها فى هذا الأمر .

وهى لا تنكر أنها لم تكن تبدى حماسًا كبيرًا تجاه أولئك الذين تقدموا للزواج من ابنتها أملاً فى أن تزوجها من (مجدى) .. ولأنها تعتقد أنه هو الأصلح لها .. وأنه الشخص الوحيد الذى يمكنها أن تكون أكثر اطمئنانًا على وجودها معه .

همس لها (مجدى) قائلاً :

ـ لماذا تأخرت فى العودة إلى المنزل حتى الآن ؟

قالت له (غادة) متبرمة :

ـ أنت أيضًا ؟ يكفينى ما سمعته من أمى .

ـ (غادة) .. لقد أقلقنى عودتك فى هذه الساعة المتأخرة .

ـ وهل كنت تتجسس علىّ ؟

ـ كلا .. لكنى لمحتك وأنت عائدة فى أثناء وقوفى فى الشرفة .

ـ لقد كنت فى النادى .

قال لها فى ضيق :

ـ مع شلة مصر الجديدة ؟

قالت له بانفعال :

ـ لا أدرى ما الذى يضايقكم جميعًا فى صداقتى لـ (سوزى) و (ريهام) و (هنى) ؟

ـ ولماذا لم تكملى بقية أفراد الشلة ؟ (تامر) الشهير بـ (توتى) و (كمال) الشهير بـ (كوكى) ؟

هزت كتفيها بلا مبالاة قائلة :

ـ إنهم مجرد أصدقاء .

ـ أمثال هؤلاء لا يصلحون أن يكونوا أصدقاء .. وهم ليسوا على شاكلتنا .

ابتسمت وهى تنظر إليه قائلة :

ـ قل إنك تغار .

ـ وماذا فى ذلك ؟ أليس من حقى أن أغار عليك ؟ إنك تعرفين جيدًا أننى أحبك .. وأننى أحلم باليوم الذى تكونين فيه زوجتى .

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى يصارحها فيها بحبه .

فقد كانت مدركة تمامًا لمشاعره نحوها .. وحبه الجارف لها .

وكانت تسعد دائمًا وهى ترى عمق هذه المشاعر وحرارتها التى تبدو واضحة فى كل تصرفاته نحوها .

كما أن كلمات الحب التى كان يرددها على سمعها ، والتى تعبر عن هيامه وشغفه الشديد بها ، كانت ترضى غرورها كأنثى وتعمق لديها إحساسها الزائد بنفسها كفتاة جميلة .

إنها لا تنكر أنها هى الأخرى تحمل له بعض المشاعر وأنها تشعر معه بألفة شديدة .

خاصة أنها قد تربت معه ، وكانت بينهما صداقة قوية وصلة حميمة منذ الطفولة ، قبل أن تنقلب هذه الصداقة وتلك الصلة إلى حب قوى سيطر على مشاعر الشاب .

لكن أحلامها كانت تتجاوزه .. ولم تكن ترى فيه ذلك الأمل الذى ظل يراودها منذ أن بدأت تعى حقيقة اختلاف الأشياء حولها .

ذلك الأمل فى أن تنتقل من حى (الدراسة) إلى أحد الأحياء الراقية .

وأن تقفز من قاع المجتمع إلى قمته .. ومن هاوية الفقر إلى عالم الثراء الوردى الذى عاشت تحلم

به دائمًا ؛ والذى ترى أن من حقها أن يكون لها وجود فيه .. ما دامت تمتلك هذا الجمال الباهر الذى يدير الألباب ويهزّ المشاعر .

وبرغم الصفات التى تميز (مجدى) .. والألفة التى تحسها نحوه إلاّ أنه لم يكن ذلك الفارس الذى يستطيع أن يحقق لها هذه الأحلام .

ولكن ماذا تفعل إذا لم تكن قد وجدت حتى الآن هذا الفارس ؛ الذى يمكن أن يعبر بها هذه المساحة الشاسعة بين الفقر المدقع والثراء الفاحش ؟

إن أيًا من أولئك الذين سعوا للزواج منها لم يكن يمتلك هذه الصفات التى يمكن أن تجعل منه فارس أحلامها .. وبعضهم لم يكن يزيد كثيرًا فى إمكانياته عن (مجدى) الذى يبدأ خطواته الأولى مع المستقبل .

وأمها تضغط عليها ليلاً ونهارًا .. وتردد على أذنها تلك الكلمات القاسية المؤلمة التى لا تنتهى عن خوفها عليها ، وخوفها من المستقبل ، وخوفها من المرض الذى يهاجمها من آن لآخر ، وقد يقعدها عن العمل فيصبحان بلا أىّ مورد ينفقان منه حتى على طعامهما .. وخوفها من الموت الذى قد يفاجئها فى أية لحظة ..

فتصبح وحيدة فى هذه الحياة دون سند ودون مورد رزق يمكنها أن تعتمد عليه .

وفى الحقيقة فإن هذه المخاوف نفسها كانت تعتمل فى نفسها أحيانًا ، وتجد فيما تقوله أمها ما يستحق أن تفكر فيه وتخشاه .

فأمها هى سندها الوحيد حتى الآن فى هذه الدنيا .. وبدونها لن تجد أمامها سوى الضياع .

فهذا هو المستقبل الذى ينتظر فتاة فقيرة .. بلا أقارب .. ولا موارد مالية مثلها .

لذا كان عليها أن تأخذ كلمات أمها بجدية ، وألاّ تكتفى بالأحلام الوردية ، وتعيش الواقع قليلاً كما تفرضه الحياة عليها .

فجمالها الذى تعتمد عليه قد يذبل قبل أن تنجح فى أن تستثمره .

عليها أن ترضى بما هو متاح لها الآن قبل أن يفلت من يديها أيضًا . وفى ظل هذه الظروف فإن (مجدى) يبدو هو الأنسب بالنسبة لها .

فهو شاب وسيم .. ومهندس ينتظره مستقبل لا بأس به . فضلاً عن أنه يحبها ، وبينهما ألفة وصلة قوية تجمع بينهما منذ أن كانا طفلين صغيرين .

كما أن هناك شيئا آخر يعزز من قبولها لفكرة الزواج منه .. وهى معرفتها بأن صديقتها (نهنة) تحبه حبًا قويًا .. وإن كان حبها صامتًا لم تعترف به لأحد حتى الآن ؛ سواء أكانت هى برغم صداقتها له ، أم حتى هو برغم أن صداقته لها وصلته بها لم تختلف عن صداقتها وصلتها به حينما كانا طفلين يلعبان معًا ..

وهناك شىء خفى يجعلها تسعد بأن تنال لنفسها ذلك الشخص الذى أحبته صديقتها ، وأدركت بغريزتها مدى عمق حبها له .

* * *



٤ـ الحب والثمن ..

سألته قائلة بدلال :

ـ أتحبنى حقًا يا (مجدى) ؟

ـ وهل لديك شك فى ذلك ؟

ـ إذن .. أنا موافقة .

نظر إليها بتساؤل قائلا :

ـ على ماذا ؟

قالت وكأنه استسلام لقدرها بأكثر مما هو تعبير عن رغبة حقيقية :

ـ على أن نتزوج .

تهلل وجهه بالفرحة .. وبدا وكأنه لا يصدق ما سمعته أذناه قائلا :

ـ حقًا يا (غادة) ؟

قالت له ببرود :

ـ متى تكون مستعدًا للتقدم لخطبتى من والدتى ؟

ـ من الغد لو أردت .

- كلا .. ليس بهذه السرعة .. لا بد أن تكون مستعدًا لهذا الأمر أولا ..

- إننى على أتم الاستعداد .

- هل أنت مستعد لتحمل تكاليف هذه الخطبة ، هل يمكنك شراء شبكة ؟ ثم ماذا عن استعدادك للزواج وإعداد شقة ؟

قال لها متلعثما وقد فاجأته بكل هذه الأشياء التى قلصت فرحته :

- نعم .. إننى .. يمكننى ..

- يمكنك ماذا ؟ اسمع يا (مجدى) .. سأكون صريحة معك .. إذا كنت تحبنى حقًا .. وترغب فى الزواج منى .. سيكون عليك أن تتحمل كافة تكاليف هذا الزواج .

فقد عشت معنا فى هذا المنزل منذ طفولتك ، وتعرف أنه لا أنا ولا أمى يمكننا أن نسهم فى شىء من مصاريف الزواج .. أنت تعلم بحالتنا جيدًا .

وصمتت برهة قبل أن تردف :

- فهل أنت مستعد لتحمل كل نفقات الزواج ؟

قال لها مترددًا :

- نعم .. أظن أننى أستطيع أن أدبر هذا الأمر .

- لا تتسرع فى اتخاذ قرارك .. عليك أن تفكر جيدًا قبل أن تقرر إذا ما كان لديك هذا الاستعداد أم لا .

ثم لا تنس أنه يتعين عليك أن تتسلم وظيفتك أولا .

- لن تكون هناك مشكلة بشأن الوظيفة .

فقد وعدنى (حسين) باستلام العمل كمهندس بشركة المقاولات التى يعمل بها ، بمجرد انتهائى من فترة التجنيد التى لم يعد متبقيًا على انتهائها سوى شهرين فقط .

- وهل تعتقد أنه بمجرد استلامك لهذا العمل ستكون مستعدًا لتحمل أعباء الزواج ؟

- كلا بالطبع .. ولكن لدينا قطعة أرض صغيرة .. ورثتها أنا وأخى بعد وفاة والدنا فى بلدتنا .. يمكننا لو بعناها أن أدبر مصاريف الزواج بعد أن أحصل على نصيبى منها .

- وهل تظن أن أخاك سيوافقك على بيعها ؟

- أظن أننى أستطيع أن أقنعه بذلك .

- إذن عليك أن تنتظر حتى تتمكن من إقناعه ، وتتسلم عملك أولا .. ثم تأتى بعد ذلك للتفاهم مع والدتى فى هذا الأمر .

- وماذا لو أعلنا الخطبة الآن ، أو قرأنا الفاتحة على الأقل ؟ حتى يعلم الجميع أنك قد أصبحت لى وحدى ..

قاطعته قائلة :

- كلا .. إننى لا أفضل ذلك .. ولا أظن أن هناك مشكلة لو انتظرنا شهرًا أو شهرين آخرين .. ما دمت واثقًا من أنك تستطيع تدبير أمرك .

- حسن .. كما تريدين .. إن ما يهمنى فى هذه الحالة هو أننى قد أصبحت على ثقة من حبك لى .. وأنك لن تكونى إلا لى وحدى .

قالت له وهى تتجاهل مشاعره الفياضة نحوها :

- ستحضر لى شبكة مناسبة .. أليس كذلك ؟

قال لها بصوت مفعم بالعاطفة وهو يتناول يدها الرقيقة بين أصابعه المرتجفة :

- لو كان الأمر بيدى لأحضرت كل كنوز الدنيا لأضعها تحت قدميك .

وبعد أن انصرف تحدثت الأم إلى ابنتها قائلة :

- إننى سعيدة لأنك وافقت أخيرًا على الزواج من (مجدى) .

- هل سمعت الحوار الذى دار بيننا ؟

- سمعته دون قصد منى .. فقد كنت قد انتهيت من حياكة القميص وإحضاره لـ (مجدى) حينما سمعتكما تتحدثان ، فتعمدت أن أنتظر قليلاً حتى أتيح لكما قدرًا أكبر من الحوار معًا .

- لعلك تكونين مستريحة ومطمئنة الآن .. بعد أن حققت لك رغبتك وأعلنت له موافقتى على الزواج .

قالت الأم وقد ارتسمت ملامح السعادة على وجهها :

- لم أكن لأتمنى لك شخصًا آخر مثل (مجدى) .. خاصة وأنا أعرف ما يكنه لك من حب وإعزاز .

قالت (غادة) دون أن تشارك أمها بهجتها :

- كان من الممكن أن أظفر بزوج مناسب أكثر منه .. لولا تعجلك لى .. وحديثك اليومى المتكرر عن الزواج .. كما لو كنت قد تخطيت الثلاثين من عمرى .

قالت لها أمها مستنكرة :

- ليس لك حق يا (غادة) .. وماذا كنت تأملين أكثر من ذلك ؟

إنك ستتزوجين من مهندس .. شاب وسيم نعرفه ويعرفنا .. يحبك وتحبينه ..

قاطعتها (غادة) قائلة بعصبية :

ـ من قال : إننى أحبه ؟

نظرت أمها إليها باستغراب قائلة :

ـ لقد كنت أظن ذلك .. ألا تحبينه حقًا ؟

هزت (غادة) رأسها فى حيرة قائلة :

ـ لا أعرف .. لا أعرف .

ـ إذا كنت لا ترغبين فى الزواج منه يا بنيتى .. يمكنك التراجع عن ذلك .

لا أريد أن تفعلى شيئًا مضطرة لمجرد إرضائى .

ولو أنى سأكون آسفة لو لم تقترنى بهذا الشاب

عادت (غادة) لتهز رأسها قائلة :

ـ حقيقة .. لا أعرف يا أمى .. أظن أننى أرتاح إلى (مجدى) وأحمل له قدرًا من المشاعر تختلف عمن سواه .

لكنى كنت آمل فى الزواج من شخص مختلف .. شخص ثرى ينزعنا من هذا الفقر الذى نشأنا فيه ، وينقلنا إلى عالم آخر مختلف عن هذا العالم ، بعيدًا عن حى (الدراسة) .. وعن ذلك الزقاق الضيق ، وحكايات البؤس والشقاء المحيطة بنا ، إلى عالم آخر أكثر رحابة وأكثر رفاهية .

نظرت إليها أمها فى قلق قائلة :

ـ كم أخشى عليك من تطلعاتك هذه يا بنيتى .

ـ أليس من حقى أن أتطلع إلى ما هو أفضل ؟

ـ كلنا نأمل فى أن تتغير حياتنا إلى ما هو أفضل .. لكن علينا فى النهاية أن نرضى بما قسمه لنا ربنا .

ثم إن حياتك ستختلف بعد زواجك من (مجدى) بلا شك .. فهو لن يبقى فى هذا المنزل الذى تكرهينه .. ولا بد أنه سينتقل بك إلى شقة أخرى فى مكان مختلف .. خاصة وأنه ينتظره مستقبل مشرق بعد أن يتسلم عمله كمهندس فى شركة المقاولات التى يعمل بها أخوه .

مطت شفتيها قائلة بتهكم :

ـ وماذا تظنين أن يكون راتبه بعد أن يصبح مهندسًا فى هذه الشركة ؟

وكم سيحتاج من السنين لكى يدخر شيئًا من هذا المرتب ؟

ـ إنه على أية حال سيوفر لك حياة أفضل من تلك التى تتمردين عليها .

- ربما لن تختلف كثيراً .. وربما تزيد قليلاً .. لكنها لن تكون هى الحياة التى أحلم بها .

لقد كنت أتمنى أن أقفز فوق مساحة شاسعة من الفقر والبؤس إلى عالم مختلف تماماً .. إلى حياة رغدة : فيلا .. سيارة آخر موديل .. حفلات .. ملابس غالية ..

قاطعتها أمها قائلة :

- رويدك .. رويدك ! تمهلى قليلاً فى أحلامك يا بنيتى .

فتطلعاتك الزائدة هذه .. قد تنتهى بك إما إلى أن تصدمى للعجز عن تحقيقها .. وإما أن تندمى على جريك وراءها .. جربى أن تسيرى وأن تنظرى تحت قدميك .. لأن القفز ربما ينتهى بالمرء إلى تحطيم عنقه .

- أمى .. أنت لا تفهمينى .

حدجتها أمها بنظرة فاحصة قائلة :

- بل أفهمك جيداً يا بنيتى .. وهذا ما يزيد من خوفى عليك .

إن (مجدى) شاب ممتاز تتمناه أية فتاة .. لذا عليك أن تكونى ممتنة لأنه يريدك زوجة له .

وعليك أن تحافظى عليه .. ولا داعى لأن تثقلى عليه بكل هذه الطلبات التى سمعتك تطلبينها منه .. فلا تنسى أن الشاب فى مستهل حياته .

- أى طلبات هذه التى تتحدثين عنها ؟ إننى لم أطالبه إلا بأقل القليل .

أم أنك ترين أيضاً أننى لا أستحق أن أكون مثل أية عروس تقدم لها شبكة .. ويقام لها فرح .. وحفل زفاف ؟

- أنا لم أقل هذا .. ولكن أن يتحمل كل التكاليف بمفرده فهذا شىء صعب بالنسبة لشاب حديث التخرج فى زمننا هذا .

إننى أستطيع أن أسهم معه فى تحمل نفقات الفرح .. وفى جهاز عرسك .. فقد عملت حساباً لهذا اليوم .. وادخرت بعض المال من أجل زواجك .

قالت (غادة) بحسم :

- لن تتحملى أى شىء .. يكفى ما تحملته من أجل تربيتى .. والنقود التى تدخرينها تستطيعين أن تحتفظى بها لنفسك .

وإذا كان يريد أن يتزوجنى ، فعليه أن يتحمل تكاليف الزواج كاملة .. هذا هو شرطى وقد قبله .

قالت لها الأم وهى تشفق على الشاب :

ـ ولكن يا بنيتى .. قد يكون فى هذا تعجيز له .. كما أننى لا أريد أن تطول فترة خطبتك .. نحن فى منزل واحد .. وربما كانت هذه الخطبة سببًا للأقاويل .. خاصة وأنكما قد تربيتما معًا واعتدتما الاختلاط ..

ـ لقد أخبرته بألاّ يتقدم لطلب يدى إلاّ إذا كان جاهزًا للزواج بالفعل .

ـ ولكن قد يطول بكما الأمر على هذا النحو .

ـ وأنا لست متعجلة ..

ـ أما أنا فأتعجل هذا الزواج .. وأخشى أن تفقدى الشاب بتعنتك هذا .

ـ اطمئنى يا أمى .. لن أفقد شيئًا .. إنه يحبنى وزواجه منى كان حلمًا بالنسبة له .. وهو لن يتنازل عنه .

قالت لها الأم منفعلة :

ـ ما كل هذا الغرور ؟ أتظنين أنه لا توجد فتاة جميلة سواك ؟

أو أنه لا يوجد فى هذا الكون فتاة مثلك ؟

لو لم تترفقى بالشاب فإنك ستدفعينه حتمًا إلى الابتعاد عنك .

أم أنك تسوفين وتعمدين إلى إطالة الوقت أملاً فى ظهور العريس الغنى الذى تحلمين به ؟

قالت لها (غادة) محتجة :

ـ ماما .. ما هذا الذى تقولينه ؟

ـ أقول ما أراه .. إنك ابنتى وأنا أفهمك جيدًا .. يا بنيتى إننى أمك .. ولا أرجو لك سوى المصلحة .. وأرى أن هذا الشاب هو الذى سيصونك ويرعاك .. فلا تضيعيه منك .

قالت لها متبرمة :

ـ على أية حال .. لقد أخبرنى أن لديه قطعة أرض صغيرة سيبيعها .. وأظن أنه سيستطيع بثمنها تدبير شئونه .. والتقدم للزواج منى حتى أرحل عن هذه الشقة .. وتستريحى من وجودى معك .

* * *



ـ كلا .. ليس بهذه السرعة .. لا بد أن تكون مستعدًا لهذا الأمر أولاً ..

ـ إننى على أتم الاستعداد .

ـ هل أنت مستعد لتحمل تكاليف هذه الخطبة . هل يمكنك شراء شبكة ؟ ثم ماذا عن استعدادك للزواج وإعداد شقة ؟

قال لها متلعثما وقد فاجأته بكل هذه الأشياء التى قلصت فرحته :

ـ نعم .. إننى .. يمكننى ..

ـ يمكنك ماذا ؟ اسمع يا (مجدى) .. سأكون صريحة معك .. إذا كنت تحبنى حقًا .. وترغب فى الزواج منى .. سيكون عليك أن تتحمل كافة تكاليف هذا الزواج .

فقد عشت معنا فى هذا المنزل منذ طفولتك ، وتعرف أنه لا أنا ولا أمى يمكننا أن نسهم فى شىء من مصاريف الزواج .. أنت تعلم بحالتنا جيدًا .

وصمتت برهة قبل أن تردف :

ـ فهل أنت مستعد لتحمل كل نفقات الزواج ؟

قال لها مترددًا :

ـ نعم .. أظن أننى أستطيع أن أدبر هذا الأمر .

ـ لا تتسرع فى اتخاذ قرارك .. عليك أن تفكر جيدًا قبل أن تقرر إذا ما كان لديك هذا الاستعداد أم لا .

ثم لا تنس أنه يتعين عليك أن تتسلم وظيفتك أولاً .

ـ لن تكون هناك مشكلة بشأن الوظيفة .

فقد وعدنى (حسين) باستلام العمل كمهندس بشركة المقاولات التى يعمل بها ، بمجرد انتهائى من فترة التجنيد التى لم يعد متبقيًا على انتهائها سوى شهرين فقط .

ـ وهل تعتقد أنه بمجرد استلامك لهذا العمل ستكون مستعدًا لتحمل أعباء الزواج ؟

ـ كلا بالطبع .. ولكن لدينا قطعة أرض صغيرة .. ورثتها أنا وأخى بعد وفاة والدنا فى بلدتنا .. يمكننا لو بعناها أن أدبر مصاريف الزواج بعد أن أحصل على نصيبى منها .

ـ وهل تظن أن أخاك سيوافقك على بيعها ؟

ـ أظن أننى أستطيع أن أقنعه بذلك .

ـ إذن عليك أن تنتظر حتى تتمكن من إقناعه ، وتتسلم عملك أولاً .. ثم تأتى بعد ذلك للتفاهم مع والدتى فى هذا الأمر .

ـ وماذا لو أعلنا الخطبة الآن ، أو قرأنا الفاتحة على الأقل ؟ حتى يعلم الجميع أنك قد أصبحت لى وحدى ..

قاطعته قائلة :

ـ كلا .. إننى لا أفضل ذلك .. ولا أظن أن هناك مشكلة لو انتظرنا شهرًا أو شهرين آخرين .. ما دمت واثقًا من أنك تستطيع تدبير أمرك .

ـ حسن .. كما تريدين .. إن ما يهمنى فى هذه الحالة هو أننى قد أصبحت على ثقة من حبك لى .. وأنك لن تكونى إلا لى وحدى .

قالت له وهى تتجاهل مشاعره الفياضة نحوها :

ـ ستحضر لى شبكة مناسبة .. أليس كذلك ؟

قال لها بصوت مفعم بالعاطفة وهو يتناول يدها الرقيقة بين أصابعه المرتجفة :

ـ لو كان الأمر بيدى لأحضرت كل كنوز الدنيا لأضعها تحت قدميك .

وبعد أن انصرف تحدثت الأم إلى ابنتها قائلة :

ـ إننى سعيدة لأنك وافقت أخيرًا على الزواج من (مجدى) .

ـ هل سمعت الحوار الذى دار بيننا ؟

ـ سمعته دون قصد منى .. فقد كنت قد انتهيت من حياكة القميص وإحضاره لـ (مجدى) حينما سمعتكما تتحدثان ، فتعمدت أن انتظر قليلاً حتى أتيح لكما قدرًا أكبر من الحوار معًا .

ـ لعلك تكونين مستريحة ومطمئنة الآن .. بعد أن حققت لك رغبتك وأعلنت له موافقتى على الزواج .

قالت الأم وقد ارتسمت ملامح السعادة على وجهها :

ـ لم أكن لأتمنى لك شخصًا آخر مثل (مجدى) .. خاصة وأنا أعرف ما يكنه لك من حب وإعزاز .

قالت (غادة) دون أن تشارك أمها بهجتها :

ـ كان من الممكن أن أظفر بزوج مناسب أكثر منه .. لولا تعجلك لى .. وحديثك اليومى المتكرر عن الزواج .. كما لو كنت قد تخطيت الثلاثين من عمرى .

قالت لها أمها مستنكرة :

ـ ليس لك حق يا (غادة) .. وماذا كنت تأملين أكثر من ذلك ؟

إنك ستتزوجين من مهندس .. شاب وسيم نعرفه ويعرفنا .. يحبك وتحبينه ..

قاطعتها (غادة) قائلة بعصبية :

ـ من قال : إننى أحبه ؟

نظرت أمها إليها باستغراب قائلةً :

ـ لقد كنت أظن ذلك .. ألا تحبينه حقًا ؟

هزت (غادة) رأسها فى حيرة قائلة :

ـ لا أعرف .. لا أعرف .

ـ إذا كنت لا ترغبين فى الزواج منه يا بنيتى .. يمكنك التراجع عن ذلك .

لا أريد أن تفعلى شيئًا مضطرة لمجرد إرضائى .

ولو أنى سأكون آسفة لو لم تقترنى بهذا الشاب .

عادت (غادة) لتهز رأسها قائلة :

ـ حقيقة .. لا أعرف يا أمى .. أظن أننى أرتاح إلى (مجدى) وأحمل له قدرًا من المشاعر تختلف عمن سواه .

لكنى كنت آمل فى الزواج من شخص مختلف .. شخص ثرى ينزعنا من هذا الفقر الذى نشأنا فيه ، وينقلنا إلى عالم آخر مختلف عن هذا العالم ، بعيدًا عن حى (الدراسة) .. وعن ذلك الزقاق الضيق ، وحكايات البؤس والشقاء المحيطة بنا ، إلى عالم آخر أكثر رحابة وأكثر رفاهية .

نظرت إليها أمها فى قلق قائلة :

ـ كم أخشى عليك من تطلعاتك هذه يا بنيتى .

ـ أليس من حقى أن أتطلع إلى ما هو أفضل ؟

ـ كلنا نأمل فى أن تتغير حياتنا إلى ما هو أفضل .. لكن علينا فى النهاية أن نرضى بما قسمه لنا ربنا .

ثم إن حياتك ستختلف بعد زواجك من (مجدى) بلا شك .. فهو لن يبقى فى هذا المنزل الذى تكرهينه .. ولا بد أنه سينتقل بك إلى شقة أخرى فى مكان مختلف .. خاصة وأنه ينتظره مستقبل مشرق بعد أن يتسلم عمله كمهندس فى شركة المقاولات التى يعمل بها أخوه .

مطت شفتيها قائلة بتهكم :

ـ وماذا تظنين أن يكون راتبه بعد أن يصبح مهندسًا فى هذه الشركة ؟

وكم سيحتاج من السنين لكى يدخر شيئًا من هذا المرتب ؟

ـ إنه على أية حال سيوفر لك حياة أفضل من تلك التى تتمردين عليها .

- ربما لن تختلف كثيرًا .. وربما تزيد قليلاً .. لكنها لن تكون هى الحياة التى أحلم بها .

لقد كنت أتمنى أن أقفز فوق مساحة شاسعة من الفقر والبؤس إلى عالم مختلف تمامًا .. إلى حياة رغدة : فيلا .. سيارة آخر موديل .. حفلات .. ملابس غالية ..

قاطعتها أمها قائلة :

- رويدك .. رويدك ! تمهلى قليلاً فى أحلامك يا بنيتى .

فتطلعاتك الزائدة هذه .. قد تنتهى بك إما إلى أن تصدمى للعجز عن تحقيقها .. وإما أن تندمى على جريك وراءها .. جربى أن تسيرى وأن تنظرى تحت قدميك .. لأن القفز ربما ينتهى بالمرء إلى تحطيم عنقه .

- أمى .. أنت لا تفهمينى .

حدجتها أمها بنظرة فاحصة قائلة :

- بل أفهمك جيدًا يا بنيتى .. وهذا ما يزيد من خوفى عليك .

إن (مجدى) شاب ممتاز تتمناه أية فتاة .. لذا عليك أن تكونى ممتنة لأنه يريدك زوجة له .

وعليك أن تحافظى عليه .. ولا داعى لأن تثقلى عليه بكل هذه الطلبات التى سمعتك تطلبينها منه .. فلا تنسى أن الشاب فى مستهل حياته .

- أى طلبات هذه التى تتحدثين عنها ؟ إننى لم أطالبه إلا بأقل القليل .

أم أنك ترين أيضًا أننى لا أستحق أن أكون مثل أية عروس تقدم لها شبكة .. ويقام لها فرح .. وحفل زفاف ؟

- أنا لم أقل هذا .. ولكن أن يتحمل كل التكاليف بمفرده فهذا شىء صعب بالنسبة لشاب حديث التخرج فى زمننا هذا .

إننى أستطيع أن أسهم معه فى تحمل نفقات الفرح .. وفى جهاز عرسك .. فقد عملت حسابًا لهذا اليوم .. وادخرت بعض المال من أجل زواجك .

قالت (غادة) بحسم :

- لن تتحملى أى شىء .. يكفى ما تحملته من أجل تربيتى .. والنقود التى تدخرينها تستطيعين أن تحتفظى بها لنفسك .

وإذا كان يريد أن يتزوجنى ، فعليه أن يتحمل تكاليف الزواج كاملة .. هذا هو شرطى وقد قبله .

قالت لها الأم وهى تشفق على الشاب :

ـ ولكن يا بنيتى .. قد يكون فى هذا تعجيز له .. كما أننى لا أريد أن تطول فترة خطبتك .. نحن فى منزل واحد .. وربما كات هذه الخطبة سببًا للأقاويل .. خاصة وأنكما قد تربيتما معًا واعتدتما الاختلاط ..

ـ لقد أخبرته بألا يتقدم لطلب يدى إلا إذا كان جاهزًا للزواج بالفعل .

ـ ولكن قد يطول بكما الأمر على هذا النحو .

ـ وأنا لست متعجلة ..

ـ أما أنا فأتعجل هذا الزواج .. وأخشى أن تفقدى الشاب بتعنتك هذا .

ـ اطمئنى يا أمى .. لن أفقد شيئًا .. إنه يحبنى وزواجه منى كان حلمًا بالنسبة له .. وهو لن يتنازل عنه .

قالت لها الأم منفعلة :

ـ ما كل هذا الغرور ؟ أتظنين أنه لا توجد فتاة جميلة سواك ؟

أو أنه لا يوجد فى هذا الكون فتاة مثلك ؟

لو لم تترفقى بالشاب فإنك ستدفعينه حتمًا إلى الابتعاد عنك .

أم أنك تسوفين وتعمدين إلى إطالة الوقت أملاً فى ظهور العريس الغنى الذى تحلمين به ؟

قالت لها (غادة) محتجة :

ـ ماما .. ما هذا الذى تقولينه ؟

ـ أقول ما أراه .. إنك ابنتى وأنا أفهمك جيدًا .. يا بنيتى إننى أمك .. ولا أرجو لك سوى المصلحة .. وأرى أن هذا الشاب هو الذى سيصونك ويرعاك .. فلا تضيعيه منك .

قالت لها متبرمة :

ـ على أية حال .. لقد أخبرنى أن لديه قطعة أرض صغيرة سيبيعها .. وأظن أنه سيستطيع بثمنها تدبير شئونه .. والتقدم للزواج منى حتى أرحل عن هذه الشقة .. وتستريحى من وجودى معك .

* * *



٥ - قلب حزين ..

كانت زوجة الأستاذ (منصور) متأهبة لاستقبال ضيفها على العشاء ، فقد وجهت الدعوة لـ (مجدى) نيابة عن زوجها ليتناول العشاء مع أسرتها هذه الليلة .. خاصة عندما علمت أن أخاه قد سافر فى مأمورية تتعلق بالعمل .. وأنه لن يعود قبل يومين .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يدعى فيها (مجدى) لتناول الطعام مع أسرة الأستاذ (منصور) .. سواء بمفرده أو بصحبة أخيه .. فقد اعتاد على ذلك ولم يعد يجد فيه شيئًا من الحرج ..

خاصة وأن هناك صداقة قوية تربطه بالأستاذ (منصور) وابنته .. ولكن هذه الليلة كانت لها أهمية خاصة بالنسبة لزوجة (منصور) .. فقد بدأت تعد العدة لزواج ابنتها من المهندس الشاب .

وهى تعرف أن ابنتها مدلهة فى حبه .. برغم أنها تهرب دائمًا من التصريح لها بذلك .

وتعرف أيضًا أن (مجدى) يكن إعزازًا كبيرًا لابنتها وإن لم تستطع أن تتبين حتى الآن ما ينطوى عليه هذا الإعزاز .. وما إذا كان يحتوى على قدر من الحب أم لا ؟

على أية حال .. يكفيها أن تجد فى نظرات (مجدى) ما ينم عن الإعجاب والتقدير لابنتها .. لكى يكون هذا بداية لدفعه لطلب الزواج من (نهلة) ..

وكل ما يتعين عليها الآن أن تشجعه على الإقدام على ذلك .

ابتسمت الأم وهى تقول لابنتها :

- لم يعد متبقيًا على انتهاء (مجدى) من أداء فترة التجنيد سوى شهرين فقط .. وبعدها سيتسلم عمله فى شركة المقاولات .

قالت (نهلة) وهى تلقى برأسها على كتف أمها :

- نعم .. إننى واثقة أنه سيكون مهندسًا ناجحًا .

اتسعت ابتسامة الأم وهى تنظر لابنتها قائلة :

- وما الذى يجعلك واثقة هكذا ؟

قالت (نهلة) وهى ترفع رأسها عن كتف أمها :

- أنت تعرفين (مجدى) كما أعرفه جيدًا .. لقد

كان دائمًا مجدًا ونشيطًا وناجحًا فى دراسته .. وشخص له مثل هذه المواصفات لابد أن ينجح فى أىّ عمل يسند إليه .

قالت الأم موافقة :

ـ حقًا يا بنيتى .. سواء هو أو أخوه .. إنهما يتميزان بالذكاء والمثابرة على العمل وتحقيق النجاح .. والحمد لله على أن (مجدى) مختلف عن (حسين) من ناحية الإنفاق .. وليس شحيحًا مثله .

ضحكت الابنة قائلة :

ـ أمسكى الخشب يا أمى .

رمقتها أمها بنظرة ذات مغزى قائلة :

ـ هل تخشين عليه من الحسد ؟ اطمئنى .. إننى لن أحسد زوج ابنتى ..

نظرت إليها ابنتها باضطراب .. وقد تورد وجهها بالاحمرار قائلة :

ـ زوج ابنتك ؟

ابتسمت الأم قائلة :

ـ نعم .. ماذا ينتظره الآن بعد أن تخرج .. وأصبح مهندسًا .. وأوشك على الانتهاء من أداء خدمته العسكرية .. سوى زوجة رقيقة ولطيفة مثلك ؟

قالت (نهلة) بصوت مرتبك :

ـ وما أدراك أننى سأكون الزوجة التى يختارها ؟

ـ أتظنين أننى لا أفهم ولا أرى ما يدور أمام عينى وما تحسه مشاعرى ؟

مهما لذت بالصمت .. وأخفيت عن الجميع حقيقة مشاعرك .. فلن تستطيعى أن تخفيها عن أمك .

وأنا أعرف جيدًا أنك تحبينه .. وأنك تتمنينه زوجًا .

صمتت الابنة برهة .. قبل أن تقول :

ـ ما زلت لم تجيبى عن سؤالى .. ما أدراك إذا كان يرغب فى الزواج منى على النحو الذى يدفعك لتقرير ذلك ؟

ـ هذا أمر طبيعى لأنه هو الآخر يحبك .

ـ وكيف علمت بذلك ؟

ـ لقد قلت لك إن لى عينين تريان .. وأنا أرى فى تصرفاته ونظراته إليك ما ينم عن هذا الحب .

ـ لكنه لم يصارحنى مطلقًا بشىء من ذلك .. ولم أجد فى تصرفاته ما ينم عن هذه المشاعر التى تتحدثين عنها .

ـ ربما لأن الشاب خجول بعض الشىء ..

ولأنه شاب محترم ذو خلق ومبادئ .. وربما رأى في التصريح بمشاعره نحوك ما يعد خروجاً على احترامه لجيرتنا .. والتقاليد التي يتعين عليه اتباعها .

صمتت الفتاة دون أن تقول شيئاً .. وإن كانت قد تمنت في أعماقها أن يكون ما قالته أمها صحيحاً .

فهي تحب (مجدي) حباً جماً .. حباً عاش معها أعواماً طويلة .. ربما منذ الطفولة .

كان حبها له صامتاً عاجزاً عن التعبير عن نفسه بالكلمات .. وإن كان واضحاً كل الوضوح وهو يعبر عن نفسه بالتصرفات وبالأفعال .

لكن (مجدي) لم يلحظ ذلك الحب مطلقاً .. ولم يكن لديه الاستعداد لكي ينتبه لوجوده .

فقد كانت (غادة) هي المسيطرة على كل مشاعره وكل اهتمامه .

وهي تعرف جيداً أنها الإنسانة الوحيدة التي يأمل في أن تكون زوجته .. برغم أنها لا تستطيع أن تمنحه قدراً ضئيلاً من الحب والحنان الذي يمكن أن تمنحه هي له .

ولكن من يدري ؟ ربما كانت لها فرصة ولو ضئيلة في أن تحظى باهتمام عاطفي من جانبه .

ربما كانت أمها محقة فيما قالته عن نظراته إليها .. وتصرفاته تجاهها ..

وربما رأت شيئاً ما لم تستطع هي أن تراه .

وقد يكون هذا لضعف ثقتها بنفسها ، وقدرتها على منافسة فتاة تحظى بكل هذا القدر من الجمال مثل (غادة) .

لعله قد تبين أخيراً قوة مشاعرها نحوه .. والقيمة الحقيقية لحبها الصامت الذي لا يمكن أن يجد له مثيلاً في قلب أية فتاة أخرى .

وسرح بها الخيال .. فتخيلت نفسها زوجة له .. وهي تتأبط ذراعه .. وتسير معه في طريقهما إلى عش الزوجية .. وقد ترددت حولها أنغام الموسيقى والزغاريد .. وأحاط بهما جمع غفير من أهالي الحي يهنئونهما .

وأفاقت من شرودها على صوت جرس الباب .. وغادر أبوها حجرته وهو يتجه لفتحه قائلاً :

ـ لابد أنه (مجدي) .

تنبهت (نهلة) من شرودها .. وهبت واقفة وقد أصابها الارتباك على نحو لم يحدث من قبل ..

برغم أنها اعتادت زيارات (مجدى) لهم .. ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يأتى فيها إلى شقتهم .

وضحكت الأم وهى تراها تصطدم بإحدى المناضد الصغيرة .. فتسقطها على الأرض فى أثناء اندفاعها إلى حجرتها للاطمئنان على صورتها أمام المرآة .. ولكى تجد الفرصة للتغلب على ارتباكها .

فتح الأب الباب وهو يرحب بـ (مجدى) قائلاً :

ـ أهلا بك يا (مجدى) .. تفضل .

استقبلته زوجته بترحاب مماثل وقد بدا سعيدًا ومبتهجًا على نحو أثار انتباههما .

وما إن رأى (نهلة) حتى حياها بحرارة قائلاً :

ـ لقد أردت أن تكونى أنت وبقية أفراد الأسرة أول من يعلمون بالخبر السعيد .. خاصة وأنا أعلم جيدًا مقدار حبكم وإعزازكم لى .

قالت (نهلة) وقد أسعدها أن تراه مبتهجًا على هذا النحو :

ـ وما هو هذا الخبر السعيد ؟

ـ إننى سأتزوج قريبًا .

تهلل وجه الأم بالفرحة هذه المرة وهى تقول :

ـ حقًا يا بنى ؟ إنه خبر سعيد فعلاً .

ووافقها زوجها على ذلك قائلا :

ـ خير ما تفعل يا بنى .. إننى من أنصار الزواج المبكر بالنسبة للشباب ممن هم فى مثل سنك .

التفتت الأم إلى ابنتها قائلة :

ـ ألم أقل لك يا (نهلة) إن (مجدى) لم يعد ينقصه سوى زوجة ؟ زوجة جميلة ولطيفة ترعاه وتسهر على راحته ؟

أطرقت الفتاة حياء .

بينما سألته الأم وهى تنظر إلى ابنتها قائلة :

ـ ومن هى الزوجة التى اخترتها ؟

أجابها قائلا فى سعادة :

ـ إنكم تعرفونها جيدًا .. فهى تعيش معنا فى هذا المنزل ..

خفق قلب الفتاة بشدة فى حين ترقبت الأم أن ينطق باسم ابنتها .

لكنه فاجأهما قائلاً :

ـ إنها (غادة) !

أحست (نهلة) بقلبها يتحطم بين أضلعها ..

فقد تلاشت آخر بارقة أمل تعلقت بها فى حبها الكبير الصامت لـ (مجدى) ..

كانت تعرف منذ البداية أنها ليست الفتاة المنتظرة فى حياة (مجدى) .. وأنه لا وجود لها فى قلبه .

كما كانت تعرف أن الفتاة الوحيدة التى تتربع على هذا القلب .. وتهيمن على مشاعره هى (غادة) ..

ومع ذلك حاولت أن تخدع نفسها ، وتشبثت بهذا الأمل الزائف الذى أحيته أمها فى نفسها فى أن تكون زوجة لـ (مجدى) .

سمحت لنفسها أن تعيش هذا الوهم للحظات .. حتى جاء ليبدده بقسوة ودون رحمة بمشاعرها .

قال الأب مهنئاً :

ـ مبروك يا (مجدى) .. إنه اختيار موفق .

بينما نظرت الأم إلى ابنتها بإشفاق وقد ارتسمت على وجهها ملامح الحزن .. ولفت ذلك انتباه (مجدى) الذى تحدث إلى (نهلة) قائلاً :

ـ ماذا بك يا (نهلة) ؟ إنك لا تبدين سعيدة بهذا الخبر !!

سارعت (نهلة) بإخفاء مسحة الحزن التى

ارتسمت على وجهها خلف قناع من الابتسامة الزائفة قائلة :

ـ كيف تقول ذلك ؟ إننى سعيدة طبعًا .. ولو أن الخبر بدا مفاجئاً لى برغم أننى كنت أتوقعه .

ابتسم قائلاً :

ـ أعرف ذلك .. إننى لم أحدثك من قبل عن مشاعرى نحو (غادة) .. لكن لا بد أنك كنت تعلمين بذلك .

لا بد أنك قد لاحظته .. أو أنها أخبرتك بشىء عن هذا الحب .. فهى صديقتك ولا تخفى عنك شيئاً بالطبع .

قالت له مصدقة على كلماته :

ـ طبعًا .. طبعًا !

نظرت الابنة إلى أمها التى لم تنجح مثلها فى إخفاء ملامح الحزن التى ارتسمت على وجهها قائلة :

ـ أمى .. لماذا لا تهنئين (مجدى) ؟

قالت له الأم على مضض :

ـ مبروك يا بنى .

ـ التهنئة الحقيقية ستكون يوم أن تعلن خطبتنا رسمياً .

سأله الأب :

ـ ومتى تتم هذه الخطبة ؟

ـ بعد أن تنتهى فترة تجنيدى .

سألته أمها قائلة :

ـ وهى ؟ هل وافقت على الزواج ؟ أعنى هل صارحتها بذلك ؟

ـ بالطبع .. لقد اتفقنا على كل شىء .

نظرت إليه (نهلة) بعينين تفيضان حزنا وألما وتكادان أن تنطقا ، بل تصرخا قائلتين :

ـ إنها لا تحبك يا (مجدى) .. ولا يمكن لأية فتاة أخرى أن تحبك مثلى !

* * *



٦ ـ الوريث ..

جلس (حسين) إلى مكتبه فى شركة المقاولات ، وهو يستعد لمراجعة بعض الحسابات الخاصة بالشركة ، عندما سمع رنين الهاتف فوق مكتبه ، فتناول السماعة حيث سمع صوت صاحب الشركة على الطرف الآخر وهو يستدعيه :

ـ أستاذ (حسين) .. تعال إلى مكتبى قليلاً .

ـ حاضر يا حاج .. سأكون لديك بعد لحظات .

أسرع (حسين) بالذهاب إلى حجرة الحاج (فهمى) .. الذى بدت ملامح الانفعال والغضب واضحة على وجهه .

سأله (حسين) :

ـ أية خدمة يا حاج ؟

نظر إليه الحاج (فهمى) قائلاً بغضب :

ـ أين كنت بالأمس ؟

ـ أنت تعرف أننى كنت فى مأمورية فى السويس خلال اليومين الماضيين .

سأله الحاج (فهمى) قائلا :

ـ ولماذا لم تصحب ابنى (سمير) معك ؟

ـ إن الأمر لم يكن يستدعى وجود الأستاذ (سمير) معى .. فالمأمورية التى كلفتنى إياها كانت تتعلق بتفقد أحوال العمل .. فى مشروع مبانى المطحن الموجود هناك .. ومراجعة ميزانية المشروع على الطبيعة .. وهذا أمر من اختصاصى ويمكننى القيام به وحدى .

ضرب الحاج (فهمى) بيده على مكتبه وقد ازدادت حدة انفعاله قائلا :

ـ لا يا سيد (حسين) كان لا بد أن يكون (سمير) معك فى هذه المهمة .. فقد طلبت منك من قبل أن تشركه فى كل صغيرة وكبيرة فى الشركة .. وأن تؤهله لكى يخلفنى فى هذه الشركة .. ويديرها من بعدى .

ـ وهذا ما أفعله بالضبط .. لقد أصبح تقريبًا على دراية كافية بكافة فروع وأقسام العمل بالشركة .. وأنا لا أبخل مطلقًا بخبرتى عليه .

لقد عهدت إليه بإدارة العمل فى الشركة فى أثناء غيابى ليتعود الاعتماد على نفسه وعلى الإدارة .

صاح الحاج (فهمى) وهو ينهض من فوق مقعده :

ـ خطأ .. هذا خطأ كبير منك يا (حسين) .. فهو لم يصبح مؤهلاً لذلك بعد .. إنه ما زال فى البداية ، وهو يتلمس خطواته الأولى معك .. لذا يتعين عليك أن تكون بجواره دائمًا .. وألا تتركه يتصرف بمفرده فى هذه المرحلة .

ـ ولكن يا حاج لا بد أن تمنحه الفرصة للتصرف بمفرده من آنٍ لآخر .. حتى يكتسب الثقة بنفسه .. ويكون مؤهلاً لإدارة هذه الشركة .. وهذا لن يتحقق إلا وحده .

ـ هل تعرف كم كلفتنا هذه الفرصة التى أردت أن تمنحها له ؟ وغيابك عنه يومين ؟ عشرين ألف جنيه !

نظر إليه (حسين) بدهشة فقال الحاج (فهمى) مفسرًا :

ـ نعم .. عشرين ألف جنيه في يومين فقط .. لقد تسبب برعونته واستهتاره ، فى تأخير تنفيذ الالتزام الواجب علينا تجاه شركة المقاولات العالمية التى نعمل لحسابها من الباطن .. بتأخير توريد مواد البناء المطلوبة لموقع العمل .. مما أسهم فى تأخير التنفيذ

وتسبب فى إلزامنا بدفع غرامة التأخير المطلوبة ..

قال (حسين) وقد بدا عليه الانزعاج :

ـ لكن جدول المواعيد الخاص بالتوريدات كان موضوعًا على مكتبه .

ـ ومع ذلك لم يهتم به .. بل أكثر من ذلك رفض استقبال مندوب الشركة العالمية .. لأن سيادته كان مشغولاً بشراء سيارة جديدة .

وأردف قائلاً وقد ازداد انفعاله :

ـ طبعًا .. فهو لم يتعب فى شىء .. ولا يعرف كيف جمع أبوه هذه الأموال التى يبددها بسهولة ويصرف منها على شراء السيارات والسهرات والملابس الأنيقة .

خشى (حسين) عليه من هذا الانفعال الزائد .. فأسرع إليه ليهدئه وهو يمسك بذراعه ويدعوه للجلوس قائلاً :

ـ أرجوك يا حاج .. هذا الانفعال خطر على صحتك .. وأنت مريض بالقلب وارتفاع ضغط الدم .

أرجوك أجلس واهدأ .. وسوف نعالج كل شىء .. ونحل كل المشاكل .

استجاب الحاج (فهمى) لمطالبة (حسين) له بالجلوس ، وإن لم يستطع أن يتحكم فى انفعاله وهو يتحدث إليه قائلاً :

ـ أنا الذى أرجوك يا (حسين) .. لقد عهدت إليك بمسئولية هذا الولد . وأخبرتك بأنه سيكون أمانة بين يديك .

لقد بذلت جهدًا كبيرًا لإبعاده عن شلة السوء التى كان يصاحبها .. وحياة اللهو والعبث التى كان غارقًا فيها حتى أذنيه .

وحمدت الله لأنه استجاب لى ، ووافق على أن يشاركك مسئولية العمل فى هذه الشركة .. حتى يتمكن من إدارتها بمفرده بعد وفاتى .

تحدث (حسين) قائلاً :

ـ أطال الله فى عمرك يا حاج .

لكن الحاج واصل حديثه قائلاً :

ـ أنا الآن رجل مريض .. ولم تعد لدى القدرة على تحمل مسئولية العمل كما كنت من قبل .

لقد عهدت إليك بهذه المسئولية .. لأنك الشخص الوحيد الذى يمكننى أن أثق به .. وأطمئن على

شركتى وأموالى بين يديه .. كما أنك رجل مجتهد ومخلص لعملك .. ولديك دراية بكل ما يتعلق بهذه الشركة أكثر منى .

كما عهدت إليك بتدريب (سمير) على تحمل المسئولية وإكسابه الخبرة اللازمة ، لكى تئول ملكية هذه الشركة إليه من بعدى .. ولكى لا يعود إلى حياته السابقة التى بذلت جهدًا جبارًا لإبعاده عنها .

وأرجو أن تساعدنى على ذلك يا بنى ، وألا تتخلى عن هذا الولد مهما كانت الأسباب .. وسواء كنت حيًا أو ميتًا .

- كن مطمئنًا يا حاج .. وتأكد أننى سأبذل قصارى جهدى من أجل تنفيذ وصيتك .

- والآن .. ابحث لى عن الأستاذ (سمير) .. وأحضره معك إلى هنا .. فهناك بعض الأمور الخاصة بالعمل أريد أن أناقشها معك .. ويهمنى أن يكون حاضرًا .

- أمرك يا حاج .

وما إن غادر (حسين) حجرة صاحب الشركة حتى أخذ يبحث عن (سمير) فى الشركة وفى

الأماكن التى اعتاد الذهاب إليها .. لكنه لم يعثر عليه فى أىّ مكان .

وفكر فى أن يستقل سيارته ، ويذهب للبحث عنه بنفسه فى النادى .

لكن ما إن غادر حجرته حتى وجده أمامه وهو يستعد لدخول الحجرة . فقال له معاتبًا :

- (سمير) .. أين كنت ؟

ابتسم (سمير) قائلاً :

- (حسين) .. حمدًا لله على سلامتك .

- لقد بحثت عنك فى كل مكان ولم أتمكن من العثور عليك .

قال له (سمير) باستخفاف :

- ياه ؟ هل الأمر مهم لهذه الدرجة ؟ على أية حال لقد جئت خصيصًا لمقابلتك .

(حسين) .. إننى أحتاج لمبلغ صغير .. وسوف أرده خلال عشرة أيام على الأكثر .

قال له (حسين) رافضًا :

- ولا قرش واحد .. ما هذا الذى فعلته فى غيابى ؟ تخسر الشركة عشرين ألف جنيه من أجل شراء سيارة جديدة ؟

ـ هل أسرع أبى بإخبارك بالأمر ؟
ـ أبوك يريد مصلحتك .. ويريدك أن تعرف كيف تتحمل المسئولية .. وتتولى إدارة هذه الشركة من بعده .
ـ وماذا تفعل أنت ؟
ـ أنا لست صاحب الشركة .
ـ لكنك تدير كافة الأمور بها .. وأنا وأبى لدينا الثقة المطلوبة بك .. إذن لماذا يصر على أن يقحمنى فى مشاكلات العمل والصفقات والاتفاقات ، وزيارة مواقع العمل ، والوقوف بين العمال والمهندسين فى حرارة الصيف الملتهبة ، وبين غبار الأسمنت والطوب والزلط ؟
ـ لأنك وريثه الشرعى .. ويجب أن تعرف كل شىء عن الشركة التى ستئول إليك فى يوم من الأيام .. وتعرف كيف تدير الأمور بذلك .
ـ وقتها سأترك هذا الأمر لتتصرف فيه بنفسك .. لأننى لا أجيد التعامل مع هذه الأشياء كما تجيدها .
ـ لا ينفع .. إنك لا تستطيع أن تكون صاحب شركة كبيرة كهذه .. ما لم تكن على دراية كافية بإدارة دفة الأمور فيها ..

وهناك قرارات لا أستطيع أن أتحمل مسئوليتها وحدى .. لأننى لست صاحب المال .. ومازلت ألجأ لوالدك حتى الآن لاتخاذ مثل هذه القرارات .. برغم أن لدى تفويضًا كاملاً منه .

وهذا ما سوف أفعله معك .. لو قدر لنا أن نعمل معًا فى المستقبل بصفتك صاحب الشركة .

قال (سمير) متذمرًا :
ـ على أية حال .. لقد نزلت على إرادة أبى ورضخت لرغبته فى أن أتفرغ للعمل فى الشركة .. وضحيت بأشياء كثيرة من أجل هذا .. وعليه إذن أن يتحملنى قليلاً لو ارتكبت بعض الأخطاء .

ـ إنه يحملنى أنا مسئولية هذه الأخطاء فى النهاية .. لأنه يعتبرنى مسئولاً عنك .
ـ أنا أيضًا أعدك مسئولاً عنى .. لذا عليك أن تقرضنى خمسمائة جنيه الآن .
صاح حسين قائلاً :
ـ كم ؟!
ـ خمسمائة جنيه .. مجرد مبلغ تافه .. وسوف أرده لك .

- مبلغ تافه ؟ ومن أين أحضر لك هذا المبلغ التافة الذى تطلبه ؟

- من الخزانة التى تملك مفتاحها .

قال (حسين) غاضبًا :

- الخزانة ؟ هل تريد منى أن أسرق من أجل أن أقرضك ؟

- ما هذا الذى تقوله يا أستاذ (حسين) .. تسرق ؟ أليس المال الموجود فى هذه الخزانة هو مال أبى ؟ وأنا .. ألست أعمل فى هذه الشركة التى سأكون صاحبها فى يوم من الأيام ؟!

إذن فإنك عندما تعطينى هذا المال تكون قد أعطيته لصاحبه .

- لكنك لم تصبح صاحبه بعد .. وعلى أية حال لو طلب منى الحاج (فهمى) أن أعطيك هذا المبلغ الذى طلبته ، فسوف أسلمه لك فى الحال :

- أىّ حاج (فهمى) ؟ إن الحاج (فهمى) لن يوافق على إعطائى جنيهًا واحدًا بعد الخسارة التى سببتها له .. وأنا أقول لك إنه مجرد قرض وسأعيده خلال أيام قليلة .

- لا أستطيع أن أتصرف فى مال الحاج دون إذنه .

نظر إليه (سمير) متذمرًا وهو يقول :

- يضايقنى منك تزمتك الزائد عن الحد هذا .. كما لو كنت أطلب منك خمسة آلاف جنيه .. وليس بضع مئات قليلة .

قال (حسين) بإصرار .

- ولا خمسمائة مليم .

صمت (سمير) برهة .. ثم قال :

- حسن .. مادمت لاتريد أن تقرضنى من مال أبى .. إذن ما رأيك لو أقرضتنى أنت هذا المبلغ من مالك الخاص ؟

- ومن أين أحضر لك هذا المبلغ ؟

نظر إليه (سمير) متخابثًا وهو يقول :

- يا عم (حسين) .. لا داعى لادعاء الفقر هذا أمامى .

نظر إليه (حسين) مترددًا ثم قال :

- ومتى ستردها ؟

- عشرة أيام فقط لا أكثر .. أعدك بذلك .

- حسن .. سأفكر فى هذا الأمر فيما بعد .. والآن هيا بنا نذهب لمقابلة والدك .. فهو يريد منك أن تأتى معى لمقابلته .

- لا وقت للتفكير .. إننى بحاجة ملحة للمبلغ .

- قلت لك فيما بعد .. دعنا نذهب لمقابلته أولا .





٧ - العروس الجميلة ..

عاد (حسين) إلى شقته ليجد أخاه جالسا فى الصالة ، وهو يشاهد التليفزيون فحياه قائلا :

- مساء الخير يا (مجدى) .

- مساء الخير يا (حسين) .

- لا بد أنك لم تتناول عشاءك بعد .. آسف إذا كنت قد تأخرت عليك .. ولكنى سأعد بعض السندوتشات لنتعشى بها معا خلال لحظات قليلة .

قال (مجدى) بجدية :

- دعك من العشاء الآن .. اننى أريد أن أتحدث معك أولا .

- نتعشى أولا ثم نتحدث .

- لا أشعر برغبة فى تناول الطعام الآن .. أرجوك يا (حسين) إننى أريد أن أتحدث معك .

نظر إليه (حسين) بتعجب وقد أقلقته هذه الجدية التى ترتسم على وجهه .. فوضع الأشياء التى

أحضرها معه من أجل العشاء فوق المائدة واقترب ليجلس بجواره قائلا :

ـ هل الأمر مهم إلى هذا الحد ؟

ـ لقد قررت أن أتزوج !

فوجئ (حسين) بما قاله أخوه .. فصمت برهة وهو يحدق فى وجهه قبل أن يقول :

ـ تتزوج ؟ لابأس من ذلك .. ولكن ألا ترى أن هذا الأمر جاء مبكرًا قليلاً ؟

ـ لقد تخطيت الآن السادسة والعشرين من عمرى .

ـ السادسة والعشرون لا تعد سنًا متقدمة .. خاصة وأن الشباب فى زماننا هذا يتزوجون بعد أن يتخطوا الثلاثين بعدة سنوات .

ـ وبعضهم ينتظر حتى يصل إلى الخامسة والأربعين مثلك دون أن يتزوج .. لكنى لست مستعدًا لأن أكون مثلك .

صمت (حسين) وقد آلمته كلمات أخيه ، الذى أحس بالذنب لاندفاعه فى القول على هذا النحو .. فقال له معتذرًا :

ـ آسف يا (حسين) .. أنا لم أقصد أية إساءة إليك .. ولكن ...

قاطعه أخوه قائلاً :

ـ إننى أعنى : لمَ هذا التسرع فى الزواج ؟

ـ لأننى أحب فتاة ما .. وأرغب فى الارتباط بها قبل أن تصبح لغيرى .

ـ أتحبها إلى هذا الحد ؟

ـ مهما حاولت أن أصور لك فلا أستطيع أن أخبرك بمقدار حبى لها .

ـ ولكنك حديث التخرج .. ولم تتسلم أى عمل حتى الآن .. كما أنك لم تنته من تجنيدك بعد .

ـ لم يعد متبقيًا على انتهاء التجنيد سوى شهرين فقط .. أما بالنسبة للعمل فقد وعدتنى باستلامه فى الشركة التى تعمل بها بمجرد انتهاء التجنيد .. أليس كذلك ؟

ـ بلى .. ولكن من أين لك بنفقات الزواج ؟

ـ إننى معتمد على مساعدتك لى .

قال (حسين) بارتباك :

ـ أنا ؟.. إننى سأساعدك بالطبع ولكن فى حدود قدراتى .

ـ اطمئن .. إننى لن أطالبك بأن تساعدنى بشىء من

نقودك .. يكفى ما أنفقته علىّ حتى الآن .. ورعايتك لى حتى تخرجت فى الكلية وأصبحت مهندسًا .

ولكنى أريد أن أتحمل تكاليف الزواج من الأرض التى ورثناها عن أبى بعد وفاته .

– الأرض ؟ هل تعنى الفدانين اللذين نؤجرهما فى البلد ؟

– نعم .. إننى أرغب فى بيع الفدان الذى يخصنى .. وأظن أننى أستطيع أن أدبر من المبلغ الذى سأحصل عليه فى مقابل البيع ؛ كل ما يتطلبه الزواج من نفقات ، سواء بالنسبة للشبكة أو المهر أو الشقة .

– ألا ترى أنه من الأفضل أن تتروى قليلاً فى أمر البيع ؟

– لماذا ؟ إننا لم يعد لنا أى علاقة بالزراعة بعد وفاة أبى .. والمبلغ الذى نحصل عليه فى مقابل الإيجار لا يساوى شيئًا .

– لقد كنت أدخر أمر بيع الفدانين للمستقبل ؛ أملاً فى تنفيذ مشروع خاص بنا .. وبعد أن تكون قد اكتسبت الخبرة العملية الكافية من عملك كمهندس .

إننى لا أريد أن أظل أنا وأنت نعمل لحساب

الآخرين طوال حياتنا .. وكنت أفكر فى أن ننشئ شركة مقاولات صغيرة لحسابنا .. أنا بخبرتى الطويلة .. وأنت بجهدك وذكائك كمهندس .

– إن هذا الأمر يحتاج إلى وقت وإلى مال أكبر بكثير من قيمة الفدانين .. ثم إننى لن أضحى بشبابى وعواطفى وأترك السنين تسرقنى كما فعلت بك من أجل السعى وراء المشروعات وادخار المال .. فما قيمة كل ذلك إذا كان الثمن هو عمرنا ؟

إننى أريد أن أتزوج من الفتاة التى أحبها .. وأن يكون لدى بيت وأسرة .

هذا يأتى بالنسبة لى فى المقدمة .. وما عداه يأتى فى المرتبة الثانية .

قال له (حسين) وهو غير مقتنع :

– أنت حرّ .. إذا كنت مصرًا على ذلك فلا يمكننى أن أمنعك .

– أريد منك أن تنوب عنى فى هذا الأمر .. فأنا لا أفهم فى مسائل بيع الأرض وتلك الأشياء .

– كما تريد .. سأسافر إلى البلد الأسبوع القادم للاتفاق على هذا الأمر والبحث عن مشتر .

- وأنت .. هل ستبيع الفدان الخاص بك مثلى ؟

- إذا كان المشترى مستعدًا لشراء الفدانين بثمن مناسب .. فسوف أبيع .

- ليتك تفكر مثلى فى استغلال ثمن بيع الفدان فى الزواج وتكوين أسرة .

ابتسم (حسين) قائلاً :

- لقد فات الأوان بالنسبة لى كما قلت .

- أنا لم أقل هذا .. ولا يوجد ما يحول دون زواجك فى أى وقت .

- لقد تضاءلت فرصتى بالنسبة للاختيار

- أعلم أننى السبب .. فقد كانت رعايتك لى وحرصك على مستقبلى سببًا فى إحجامك عن الزواج حتى الآن .

ولكن هأنذا قد تخرجت وأوشك أن أتزوج .. وأنت مازلت شابًا ولا ينقصك شىء .. لديك المال والصحة والمركز المرموق .. ويمكنك أن تخصم من قيمة المبلغ الذى ستحصل عليه مقابل بيع نصيبى من الأرض ما تشاء مقابل ما صرفته على .

قال له (حسين) معاتبًا :

- إننى لم أتعهدك بالرعاية والاهتمام كل هذه السنوات لتأتى فى النهاية وتقول إنك مستعد أن تدفع لى قيمة ما صرفته عليك .. وعيب أن أسمع منك هذه الكلمات .

خفض (مجدى) بصره قائلاً :

- أنا آسف .. يبدو أننى أخطئ دائمًا فى التعبير .

وضع (حسين) يده على كتف أخيه قائلاً :

- اسمع يا (مجدى) .. إنك لم تكن بالنسبة لى مجرد أخ .. لقد اعتبرتك بمثابة ابن لى .. ولا يوجد ابن يدفع لأبيه ثمن ما أنفقه عليه ..

أليس كذلك ؟

هزّ (مجدى) رأسه دون أن يجيب :

- بينما أردف (حسين) قائلاً :

- أعرف أن البعض يتهمنى بالبخل .. وربما كنت تظن أننى أيضًا كنت مقترًا فى الانفاق عليك .

وأننى مهتم بجمع المال أكثر من أى شىء آخر فى حياتى .. ولكنى فعلت ذلك أملاً فى تحقيق مستقبل أفضل لى ولك .

لقد كان أبونا ثريًا .. ويمتلك ثلاثين فدانًا وحظيرة

مواش .. لكنه كان مسرفا إلى حد البذخ .. ولم يعمل حسابا للزمن ولا قيمة للقرش .

فمات وهو لا يملك من كل ثروته سوى هذين الفدانين المؤجرين اللذين تركهما لنا .

وقد تعلمت من ذلك أن أكون حريصا على القرش الذى أملكه ، وأن أستغله الاستغلال الأمثل ، وأدخره للأوقات العصيبة .

- اسمح لى يا (حسين) إننى غير مقتنع بهذا التبرير .. فما قيمة النقود إذا لم تحقق لك ما تحتاج إليه من السعادة والحياة الأسرية الناجحة ؟

انظر إلى نفسك .. لا زوجة .. لا شقة تتناسب مع مركزك الوظيفى .. لا أولاد .. لا اهتمام بمظهرك .. لا شىء سوى نقود تحتفظ بها فى البنك .. لا شىء سوى الانتظار .. الانتظار لاستغلال هذه النقود فى مشروع يحقق لك المزيد من الأرباح .

متى يتحقق هذا ؟ بعد أن تتجاوز الخمسين من العمر .. بعد أن تنعدم فرصتك فى الزواج والإنجاب ؟! ما قيمة المشروعات والأرباح وقتها ؟

لقد كنت أظن أن إحجامك عن الزواج بسبب حرصك على رعايتى وإحساسك بالمسئولية نحوى .

لكن يبدو أن هذا ليس هو السبب الوحيد .. ولكن اهتمامك الزائد بعملك الذى يأخذ معظم وقتك .. وحرصك الزائد على المال .. شاركا فى حرمانك من حقك فى الحياة الطبيعية .. واستمتاعك بثمار مجهودك الذى بذلته فى عملك .

صمت (حسين) برهة وكأنه يحاول أن يستوعب ما قاله له أخوه ، ثم ما لبث أن ابتسم قائلا :

- على أية حال إن السعادة نسبية .. وبالنسبة لى فقد تزوجت من عملى .

نظر (مجدى) إلى أخيه بتمعن قائلا :

- لا أظن أنك سعيد حقا .

- دعك منى .. وقل لى .. من هى العروس المنتظرة ؟

ابتسم (مجدى) قائلا :

- إنك تعرفها جيدا .. فهى تسكن فى الطابق الذى فوقنا مباشرة .

هتف (حسين) قائلا :

- (غادة) ؟!

- نعم .

- لقد أحسنت الاختيار حقًا .. فهى أجمل فتاة وقعت عليها عيناى .

ابتسم (مجدى) قائلاً :

- إذن ألا ترى معى أن الأمر يستحق ؟ وأنه يتعين على أن أسرع بالزواج من هذه العروس الجميلة قبل أن يظفر بها غيرى ؟

قال له (حسين) مطمئنًا :

- اطمئن .. ستكون من نصيبك .





٨- لقـــاء ..

كانت (غادة) جالسة أمام شاشة التليفزيون ، وهى تتابع أحد البرامج باهتمام .

حينما سمعت طرقات على الباب .. فضايقها أن يأتى أحد ليشغلها عن متابعة البرنامج .

وكانت أمها منكبة على قص قطعة من القماش فى الحجرة الداخلية ، عندما سمعت صوت الطرقات بدورها .. فنادت ابنتها قائلة :

- (غادة) .. ألا تسمعين صوت الطرقات ؟ لماذا لا تفتحين الباب ؟

نهضت (غادة) بتثاقل وهى متذمرة من ذلك الزائر الثقيل الذى جاء ليفسد عليها متعة المشاهدة .

وظلت عيناها محدقتين بشاشة التليفزيون ، وهى تتراجع بظهرها إلى الوراء متجهة نحو الباب لتفتحه .

وما لبثت أن فوجئت بشاب وسيم تبدو عليه مظاهر الأناقة والثراء واقفًا أمامها .. وقد ابتسم لها قائلاً :

- عفوا .. هل هذه هى شقة الأستاذ (حسين) ؟

ظلت تحدق فيه للحظة دون أن تقول شيئا .. بينما ظل واقفا فى انتظار إجابتها .

وما لبثت أن قالت له بصوت يغلب عليه الارتباك :

- كلا .. إن الأستاذ (حسين) يسكن فى الشقة التى تقع أسفل شقتنا .

قال لها معتذرا :

- آسف .. يبدو أننى قد أخطأت الشقة .

نادتها أمها من الداخل قائلة :

- من يا (غادة) ؟

أجابتها (غادة) بصوت عال دون أن ترفع عينيها عن الشاب الذى كان يستعد لهبوط السلم :

- إنه شخص يسأل عن الأستاذ (حسين) .

ولكن قبل أن يهم بهبوط درجات السلم عاد لينظر إليها ، وقد بدا وكأنه تذكر شيئا ما .

وعاد إليها ليسألها قائلا :

- آسف إذا كنت أثقل عليك .. ولكن ألم نتقابل من قبل ؟

نظرت إليه قائلة وقد أحست بأن لديها نفس الشعور بأنها قد رأته من قبل :

- ربما .

قال لها وقد بدأ يتذكر :

- بل أظن أننا قد التقينا من قبل .. الآن بدأت أتذكر .. فى النادى مع (سوزى) و(ريهام) .

ألا تتذكريننى ؟ لقد كنت موجودة فى النادى يوم أن فزت ببطولة التنس المفتوحة للهواة .

قالت له وقد بدأت تتذكر بدورها :

- آه .. أستاذ (سمير) .. لقد تذكرت الآن !

- لقد دعوتك يومها أنت وصديقاتك على حفل صغير بهذه المناسبة .. لكنك اعتذرت .

- نعم أتذكر ذلك .. لم أكن لأستطيع أن أتأخر ليلتها .

ابتسم لها قائلا :

- لكننى لم أكن أنوى أن أؤخرك .

- لكن .. لماذا لم أرك بعدها فى النادى ؟

- إننى فى العادة أذهب مع (سوزى) و(ريهام) إلى نادى الشمس لأنهما مشتركتان هناك .. ولقد ذهبت معهما يومها إلى نادى الجزيرة لمشاهدة نهائى البطولة فقط .

تأملها بعينين تشعان جاذبية قائلاً :

- هذا من سوء حظى .. إننى عضو فى نادى الشمس أيضًا .. لكننى لا أذهب غالبًا إلى هناك .

ولو كنت أعلم أنك تترددين عليه لداومت على الذهاب إليه .

أطرقت برأسها خجلاً دون أن تعقب بشىء .

بينما أردف قائلاً :

- إذن فأنت تسكنين هنا .. يا لها من مصادفة سعيدة !

قالت له باستحياء :

- تـ .. تفضل .

ابتسم قائلاً :

- شكرًا .. فلا بد أن ألتقى الآن بالأستاذ (حسين) .. وأتمنى أن تتاح لى الفرصة للقائك مرة أخرى .

وانصرف بينما ظلت (غادة) واقفة أمام الباب للحظة ، وهى ساهمة قبل أن تغلقه .

وكانت أمها قد غادرت حجرتها لتراها وهى واقفة أمام الباب ومازالت آثار هذا اللقاء واضحة على وجهها .

سألتها أمها قائلة :

- ماذا بك ؟

أفاقت (غادة) من شرودها قائلة :

- هه ؟ لا .. لا شىء .

- هل كان ذلك الشخص يسألك عن (حسين) كل هذا الوقت ؟

- بل كان يذكرنى بنفسه .

نظرت أمها إليها بدهشة قائلة :

- يذكرك بنفسه ؟ هل تعرفينه ؟

- نعم .. لقد تقابلنا فى النادى منذ بضعة أشهر .. وذهبت مع (سوزى) و (ريهام) لتهنئته بالفوز ببطولة التنس .

نظرت إليها الأم شذرًا قائلة :

- إنك لم تخبرينى عن شىء كهذا ؟

هزت (غادة) كتفيها قائلة :

- لم أجد فى هذا ما يستحق أن أقوله .

وألقت بنفسها فوق الأريكة التى تتوسط الردهة قائلة :

- وقتها كان الكل معجبًا به .. وأنت أيضًا يا أمى لو رأيته كنت ستعجبين به حتمًا .

فهو شاب رياضى .. أنيق وتبدو عليه مظاهر الثراء .. لديه سيارة آخر موديل .

لا بد أنه ينتمى لعائلة ثرية .. فهو عضو فى أكثر من ناد .. وقد رأيته ينفق بسخاء ..

سألتها أمها قائلة :

- وما علاقته بالأستاذ (حسين) ؟

- لا أدرى .. من الغريب فعلاً أن يكون لشخص كهذا علاقة بـ (حسين) .

قالت لها أمها مؤنبة :

- اسمه الأستاذ (حسين) .. قلت لك أكثر من مرة ألا تتكلمى عمن هم أكبر منك سناً دون احترام .

قالت (غادة) على مضض :

- حسن .. الأستاذ (حسين) .. ليس هذا هو المهم الآن .. إننى أتساءل عن الصلة التى يمكن أن تكون بين شخص مثله وشاب مثل (سمير) .

- (سمير) ؟

- نعم .. إنه اسم الشاب .. انتظرى .. لقد سمعت من (سوزى) حينما كنا فى النادى أن والده يمتلك شركة مقاولات كبيرة .

أيكون ابن صاحب الشركة التى يعمل بها (حسين) ؟ أعنى الأستاذ (حسين) ؟

- ربما .

* * *

فتح (مجدى) الباب على إثر سماعه لرنين الجرس ليجد (سمير) الذى سأله قائلاً :

- هل هذه هى شقة الأستاذ (حسين) ؟

- نعم .

- هل هو موجود ؟

- تفضل .

دخل سمير إلى الشقة وهو يتأملها مستغرباً لتواضع مستواها ، وما لبث أن قدم نفسه لـ (مجدى) قائلاً :

- أنا (سمير) .. (سمير فهمى) .

- ابن الحاج (فهمى) صاحب الشركة التى يعمل بها أخى ؟

- نعم .

صافحه (مجدى) بحرارة قائلاً :

- أهلاً وسهلاً بك .. أنا (مجدى) أخو الأستاذ (حسين) .

- إننى سعيد لتعرفك .. ولكن أين هو ؟

- إنه مريض .

قال (سمير) منزعجًا :

- مريض ؟ ماذا به ؟

- لا شىء .. لقد أصيب بنزلة برد .. ويبدو أنها ثقيلة بعض الشىء .. وقد ألزمته الفراش .

- لهذا لم يحضر إلى الشركة بالأمس .

- فى الحقيقة .. لقد كان مصرًا على مغادرة المنزل برغم مرضه .. لكننى منعته .

- هل يمكننى أن أراه ؟

- بالطبع .. تفضل معى .

اقترب (سمير) من الفراش الذى كان يرقد عليه (حسين) وقد تدثر بالأغطية قائلاً :

- سلامتك .. لم أكن أعرف أنك مريض .. ويبدو أن الهاتف معطل لديك .. لذا فقد انزعجنا لغيابك .

قال له (حسين) بصوت واهن وهو يسعل :

- أشكرك .. يبدو أن جلوسى فى التكييف لفترة طويلة بالمكتب .. ثم خروجى إلى الهواء البارد مباشرة .. قد تسبب فى إصابتى بالبرد .

قال (مجدى) :

- سأعد لك شيئًا لتشربه .

رد (سمير) :

- لا داعى لذلك .

- وكيف يتأتى هذا ؟ إنها المرة الأولى التى تشرفنا فيها فى المنزل ..

وأسرع (مجدى) بمغادرة الحجرة ليعد كوبًا من الشاى لـ (سمير) .. بينما قال له (حسين) وهو يدعوه للجلوس :

- لقد كنت أنوى الحضور إلى الشركة غدًا .

- لا أظن أنك تستطيع أن تحضر وأنت على هذا الحال .. ولو أن هناك بعض الأوراق المعطلة .. ووالدى مسافر كما تعلم .. وهو لا يريد منى أن أتصرف فى مثل هذه الأمور دون الرجوع إليك .

- أعرف أن هناك بعض الأوراق التى لا بد أن يتم التوقيع عليها غدًا .. لذا فقد قررت أن أتحامل على نفسى .. وأذهب إلى الشركة لمراجعة هذه الأوراق وتوقيعها .

- لا يمكن أن أسمح لك بمغادرة الفراش وأنت مريض هكذا .

إننى سأحضر لك هذه الأوراق معى غدًا بنفسى ..
وأظن أنه يمكنك أن تراجعها وتوقعها وأنت فى فراشك .

ـ أيمكنك أن تفعل هذا حقًا ؟

ـ نعم .. وما الصعوبة فى ذلك ؟ ولكن قل لى ، ما هذه الشقة المتواضعة التى تسكن بها ؟ إننى لم أكن أتصور أن تسكن فى منزل كهذا .

ـ إنه المنزل الذى سكنت فيه وأنا أخطو خطواتى الأولى فى مراحل حياتى العملية .

ـ لكن لا أظن أنه أصبح يناسبك الآن وأنت مدير عام الشركة .

ـ دعك من المظاهر .. إننى أحب هذا المنزل .. وجيرانى الطيبين ، حتى إننا نطلق عليه فى هذا الحى (بيت العائلة) .

ابتسم (سمير) قائلاً :

ـ إن جيرانك ليسوا طيبين فقط .. لكنهم فائقى الجمال أيضًا .. مثل جارتك التى تسكن فى الشقة التى تعلوك .

ـ تقصد (غادة) ؟

ـ نعم .. أظن أن اسمها (غادة) .

ـ وكيف التقيت بها ؟

ـ لقد أخطأت الشقة .. وكانت هى التى فتحت لى .. فتبين أن بيننا معرفة سابقة .

* * *



٩ - الرجل الذى تمنيته ..

تطلعت (غادة) من النافذة إلى السيارة الفارهة التى توقفت أمام المنزل بعينين مشدوهتين .

إنها السيارة الثالثة التى ترى (سمير) يغادرها ، منذ أن داوم على الحضور إلى المنزل لزيارة (حسين) .

قالت لنفسها :

- من الواضح أنه يتمتع بثراء فاحش .

وألقى نظرة سريعة وهو يغادر سيارته إلى النافذة حيث كانت واقفة مبتسمًا لها .. فبادلته الابتسامة .

لم يخف على (غادة) مغزى نظراته إليها ، فمن الواضح أنه معجب بها .. أما هى فإن إعجابها به بلا حدود .

وأسرعت تغادر مكانها أمام النافذة ، لتفتح باب الشقة واقفة أمام الباب ، لتلقى نظرة عليه فى أثناء دخوله إلى شقة (حسين) .

لكنه رآها وهى واقفة ، فلم يطرق باب الشقة وإنما صعد فى درجات السلم صاعدًا إليها .

اضطربت وهى تراه أمامها وقد حاصرها بنظراته .. التى أربكتها ، وإن كانت قد عبرت بطريقة أوضح عن إعجابه بها .. وتحدث إليها دون كلفة قائلاً :

- مساء الخير يا (غادة) .

قالت له بدلال :

- مساء الخير .. لا تقل : إنك قد أخطأت الشقة هذه المرة أيضًا .

قال لها دون مقدمات :

- دعك من هذه المناورات .. أنت تعرفين أننى آتى إلى هذا المنزل خصيصًا من أجلك .

قالت له وهى تصطنع الدهشة :

- من أجلى أنا ؟

- نعم .. وأنت تعرفين ذلك جيدًا .

قالت له وهى تحدجه بنظرة مستفسرة :

- إننى لا أفهم .

- (غادة) .. لقد سيطرت على مشاعرى منذ الوهلة الأولى .. إننى لا أستطيع أن أمنع نفسى من التفكير فيك .. ولدى الكثير أريد أن أقوله لك .. فلم يحدث لى أن أعجبت بفتاة هكذا مثلما أعجبت بك .

قالت له وهى تتظاهر بالاستنكار .. وإن كانت كلماته قد هزت مشاعرها ، وأثلجت قلبها :

- ما هذا الذى تقوله ؟

- لا تتعجبى مما أقوله .. لأننى أيضا مندهش مما حدث لى منذ أن وقعت عيناى عليك .

كانت المرة الأولى فى النادى حينما التقينا لأول مرة .. وعندما التقيت بك مرة أخرى هنا تأكدت أن إحساسى نحوك يختلف عن إحساسى تجاه أية فتاة أخرى .

- من فضلك .. إن هذا الكلام الذى تقوله ...

قاطعها قائلاً :

- أريد أن ألتقى بك فى النادى بعيدًا عن هنا .. لدى كلام كثير أريد أن أقوله لك .

سمعت (غادة) صوت أقدام فى الطابق الأول .. فألقت نظرة سريعة إلى أسفل لترى (مجدى) وهو يفتح باب الشقة ، فقالت له فى خوف :

- أرجوك اذهب الآن .

سألها قائلاً :

- هل ستأتين إلى النادى ؟

- قالت له مضطربة :

- لا وقت للحديث فى ذلك .. فأمى ستأتى بعد قليل .. وإذا رآتك أو رآك أحد وأنت تتحدث معى هكذا على السلم ، فسوف يثير هذا الأقاويل فى حقى .. ولا أظن أنك ترضى لى ذلك .

- إذن فسوف تأتين .

- إذا ما سمحت الظروف .

- سأنتظرك غدًا الساعة السادسة فى حديقة النادى .

- أنت تعرف أننى لا أستطيع الحضور بدون (سوزى) أو (ريهام) .. فأنا لست عضوًا فى النادى .

ابتسم (سمير) لتأكده أن لديها الاستعداد لمقابلته والحديث معه .. فهمس لها قائلاً :

- لا تحملى همًا لذلك .. سأبلغهم على باب النادى بأن يسمحوا لك بالدخول فى أى وقت تأتين فيه .. ولكن أرجوك لا تتأخرى .

* * *

ظلت (غادة) ساهرة طوال الليل تفكر فيما يمكن أن يريده (سمير) منها .. لماذا يبدى كل هذا الاهتمام

نحوها ؟ ولماذا يصر على مقابلتها ؟ وما معنى هذه الكلمات التى قالها لها اليوم عن عدم قدرته على منع نفسه من التفكير فيها ، وأنه لم يحدث له أن أعجب بفتاة هكذا قدر إعجابه بها .. وان إحساسه نحوها يختلف عن إحساسه تجاه أية فتاة أخرى ؟

ترى .. هل هو معجب بها فقط ؟ وهل ينحصر تفكيره فى التسلية ، وقضاء بعض الوقت معها بعد أن لفت جمالها انتباهه ؟ ولمَ لا ؟ إنه شاب وسيم وثرى .. يعيش حياة مستريحة .. ولا بد أن لديه وقت فراغ كبيرًا لا يدرى كيف يبدده .

وأمثاله يبحثون دائمًا عن اللهو والتسلية .. خاصة وأنها تعلم بأن لديه رصيدًا كبيرًا من المعجبات .

حاولت أن تطرد هذه الفكرة من رأسها قائلة لنفسها :

- كلا .. هذا غير صحيح .. فتلك النظرة فى عينيه .. وتلك اللهفة فى حديثه .. كانتا تحملان لها معنى مختلفًا عن ذلك .

لقد كان من الواضح أنها تركت تأثيرًا قويًا عليه .. وأنه كان صادقًا فيما يقوله عن مشاعره تجاهها .

وعادت لتحاور نفسها قائلة :

- ولكن .. أيكون هذا قد حدث بالفعل من مجرد لقاء عابر ؟ أيمكن أن يكون قد أحبنى ؟

ونظرت إلى نفسها فى المرآة بإعجاب وغرور قائلة :

- ولم لا ؟ ألست أجمل فتاة فى حى (الدراسة) ؟ بل إن جمالى يفوق كل من يعرفهن ؟

إنها تعرف مقدار نفسها جيدًا .. وقد لمست بنفسها تأثير جمالها وجاذبيتها على العديد من شباب النادى الذين كانوا يخطبون ودها .

بل إنها تلمس هذا التأثير فى أى مكان تذهب إليه .

وعادت لتواجه نفسها بواقعية قائلة :

- ولكن لا .. إن كل أولئك الذين يسعون لخطب ودها فى النادى أو فى أى مكان آخر ينقسمون إلى صنفين : إما أنهم أثرياء ، ويريدون استغلال ثرائهم ؛ وبريق المظاهر الذى يحيطون أنفسهم به فى التسلية ، وقضاء بعض الوقت مع فتاة جميلة مثلها ؛ دون أن يصل الأمر إلى الارتباط بعلاقة رسمية مع فتاة فقيرة مثلها .. والبعض الآخر لا تختلف ظروفه المادية

والأسريةَ عنها كثيرًا .. وحتى إن اختلفت .. فهى لا ترقى إلى مستوى طموحها .. مثل (مجدى) .. ولابد أن (سمير) ينتمى إلى الصنف الأول .

هزت رأسها وكأنها تحاول أن تطرد هذه الفكرة من عقلها ، قائلة لنفسها :

- كلا .. إن فى نظرته وحديثه إلىَّ شيئًا مختلفًا .. كما أن إحساسى نحوه هو الآخر شىء مختلف ..

لماذا تستبعد أن يكون هذا الأثر العاطفى قد حدث فى نفسه بالفعل ، إذا كانت هى الأخرى لديها هذا الإحساس ؟

نعم .. إن لديها شعورًا ما نحو (سمير) لم تحسه تجاه أى شاب آخر ممن التقتهم أو تعرفتهم ..

شعورًا يختلف عن انبهارها بمظهره الاجتماعى ، أو ما يمثله بالنسبة لها من قيم مادية كانت تحلم بها .

هناك شىء آخر جذبها إليه منذ رأته أول مرة فى النادى ، بالإضافة لتلك الأشياء .

شىء لا تدرى كنهه .. ولا تعرف كيف تعبر عنه ، لكنه إحساس مر بها حينما التقته مع صديقتيها ..

حقًا كان إحساسًا عابرًا ووليدًا للحظة ، وتلاشى مع

مرور الأيام .. لكنه عاد ليتجدد مرة أخرى بتجدد لقائهما .

نعم .. إن إحساسها نحوه يختلف عن إحساسها نحو أى شخص آخر عرفته .

فهو يمثل بالنسبةَ لها الصورة المثلى للشاب الذى تتمناه زوجًا لها .. هو ينتمى لطبقة اجتماعية تختلف عن الطبقةَ التى تنتمى إليها ، وهو يملك الثراء الذى طالما حلمت به .. وهو بالإضافة لذلك يمتلك من الوسامة والجاذبيةَ ما حرك مشاعرها .

ربما هو يبالغ فى تصوير مشاعره محاولاً خداعها ، وربما هو معجب بها فقط .. ويسعى وراء التسلية وقضاء بعض الوقت معها ، مثل بقيةَ الفتيات الأخريات اللاتى عرفهن ، مستخدمًا فى ذلك براعته فى التلاعب بالكلمات وجاذبيته التى يعتمد عليها فى التغرير بها .

لكنها ستجعله يحبها .. ويتزوجها .

نعم .. إنه حلمها الذى حلمت به .. ولن تدعه يفلت منها .

ستستخدم كل أسلحتها من أجل تحقيق هذا الهدف ..

فهذا هو الشخص الذى طالما تمنته .. وقد أتاحت لها الظروف أن تلتقى به .. ولن تدع الفرصة تفلت من يدها .

لذا فإنها ستذهب إليه وتلقاه كما طلب منها .

وتوقفت عن الاسترسال فى أفكارها وخططها للمستقبل قليلاً .. وهى تسأل نفسها قائلة :

- ولكن .. ماذا عن (مجدى) ؟

قالت لنفسها بعد برهة من التفكير :

- إن (مجدى) ليس هو الشخص المناسب لى .. لقد كان هذا هو رأيى منذ البداية .

وعادت لتقول لنفسها :

- لكننى ارتبطت باتفاق معه .. وهو يعد نفسه الآن للزواج منى .

قالت بعصبية وحسم :

- فليذهب هذا الاتفاق إلى الجحيم ! هناك أشخاص مخطوبون ومتزوجون ينفصلون .. وأنا مازلت حرة لم أرتبط معه بشىء رسمى يجعلنى ملتزمة تجاهه .

ثم قالت لنفسها محذرة :

- ولكن ماذا لو فشلت خطتك وأحلامك بشأن (سمير) ؟ إنك بذلك ستفقدين الاثنين وتخسرين كل شىء .

إنك واثقة من حب (مجدى) لك .. وقد قدم لك عرضاً صريحاً للزواج منك .

أما (سمير) فلا يمكن أن تجزمى بأنك ستجعلينه يحبك وأنه من الممكن أن يتزوج منك .

نظرت إلى نفسها فى المرآة بتحد قائلة :

- بل .. سيحبنى وسيتزوجنى ..

لكن كان من الواضح أنها ليست واثقة من ذلك تماماً .

وسرعان ما قالت لنفسها :

- حتى لو انتهى الأمر إلى أن أخسر الاثنين .. فأنا جميلة وجذابة .. وستكون أمامى العديد من الفرص الأخرى .

★ ★ ★



١٠ـ الرجل الآخر ..

تعددت اللقاءات بينها وبين (سمير) .. وتعددت معها المناورات العاطفية بينهما .

لم تكن واثقة تمامًا من مشاعره نحوها .. برغم كلمات الحب التى كان يسمعها إياها ، وكل تلك المشاعر التى كانت تراها فى تصرفاته ونظراته دون أن تستطيع أن تجزم ما إذا كانت حقيقية أم زائفة .

إن ما كانت تسعى إليه هو أن تدفعه إلى التزام حقيقى تجاهها .. التزام لا لبس فيه ، يثبت من خلاله أنه يحبها ، ويرغب فى الزواج منها .

لكن كل تلميحاتها ومناوراتها من أجل أن تظفر منه بكلمة أو وعد ، يؤكد أن لديه الاستعداد لمثل هذا الالتزام باءت بالفشل .

وقررت أن تتحدث إليه بأسلوب مباشر لمعرفة موقفه نحوها .

لكنها خشيت أن يعجل ذلك بإنهاء علاقتهما ، دون أن تتيح لنفسها الوقت الكافى للتأثير على مشاعره نحوها ، ودفعه إلى المزيد من التعلق بها بحيث يصبح من الصعب عليه أن يتخلى عنها .

لذا قررت أن تنتظر لبعض الوقت لترى إذا ما كان سيفاتحها فى أمر زواجه منها من تلقاء نفسه ، أم تتحدث إليه هى بطريقة مباشرة ؟

لكن الأيام أخذت تمر دون أن يعلن لها عن رغبته فى الاقتران بها ، أو يقدم لها الدليل على صدق مشاعره نحوها .

وفى نفس الوقت كان (مجدى) يلاحقها من أجل تحديد موعد لمقابلة أمها ، وإعلان خطبتهما بصورة رسمية بعد أن أتم استعداده .. وكذلك كانت أمها تتساءل عن أمر هذه الخطبة التى لا ترى سببًا لتأجيلها .

وكانت (غادة) تعمد دائمًا إلى التهرب من تقديم رد قاطع بهذا الشأن ، حتى أعيتها الحيل والمناورات .. فقررت أن تحسم الأمر بطريقة مباشرة مع (سمير) ، قبل أن تقرر مصير هذه الخطبة .. ومصير ارتباطها بـ (مجدى) ..

وذات يوم وهما يجلسان معًا فى أحد المطاعم العائمة التى تجوب مياه النيل همس لها قائلاً :

- إننى لا أستطيع أن أصف لك مقدار السعادة التى أحسها فى وجودى معك .

نظرت إليه قائلة :

- هل يسعدك أن أكون معك حقًا يا (سمير) ؟

- إن السعادة الحقيقية عرفتها منذ أن دخلت إلى حياتى يا (غادة) .

- وهل تحبنى حقًا كما قلت لى عدة مرات من قبل ؟

نظر إليها مستفسرًا وهو يقول :

- ماذا بك اليوم يا (غادة) ؟ هل تشكين فى حبى لك ؟ إن حبى لم يعد يحتاج إلى كلمات .. أظن أنه واضح فى عينى وفى كل تصرفاتى نحوك .

- أنا أيضًا أحبك ، وهذا واضح فى كل تصرفاتى ومشاعرى نحوك .. وأظنك لست بحاجة للتأكد من ذلك .. فأنت الرجل الوحيد الذى أحببته ولا بد أن تثق بذلك يا (سمير) .

ابتسم وهو يتناول يديها بين يديه قائلاً :

- أنا واثق من ذلك يا حبيبتى .

- إذن فيم انتظارك ؟

نظر إليها باستغراب قائلاً :

- ماذا تعنين بذلك ؟

- أمازلت لا تفهم ما أعنيه يا (سمير) ؟ إذا كنت تحبنى كما تقول .. وإذا كنت واثقًا من حبى لك .. وإذا كنت تسعد بوجودى معك .. إذن لماذا لا نبقى معًا دائمًا وطول العمر ؟

- ومن قال إننى سأتخلى عنك أو أرضى بأن تكونى بعيدة عنى ؟

حاصرته (غادة) قائلة :

- كيف ؟

- إننا .. إننا سنتزوج بالطبع .

تهلل وجهها بالسعادة ، وهى لا تصدق أذنيها .. فأخيرًا سمعت منه الكلمة التى أرادت أن تسمعها منذ أن التقته .

- حقًا ؟ هل سنتزوج حقًا يا (سمير) ؟

ابتسم لها وقد ارتسمت على وجهه ملامح التوتر قائلاً :

- بالطبع يا حبيبتى .

قالت له بلهفة .

- متى يا (سمير) ؟ متى ؟

- إننى أنتظر الوقت المناسب لأخبر والدى بالأمر ..

- أتظن أن والدك سيرفض زواجنا ؟

- ربما أبدى بعض الاعتراض فى البداية .. لكنى واثق بأننى سأتمكن من إقناعه .. وأنه سيوافق على زواجنا فى النهاية .

كادت (غادة) تطير من السعادة بعد أن أصبح حلمها قريبًا من الحقيقة .. وآمالها قريبة المنال .

فعما قريب ستتزوج من (سمير فهمى) .. وستنتقل إلى عالم آخر ، وواقع آخر غير الذى تحياه .

ستسكن الفيلا التى حلمت بها .. وتقود السيارة الفارهة التى أثارت إعجابها .. ترتدى أجمل وأغلى الثياب .. وتقتنى المجوهرات .. وتعيش الحياة التى عاشت محرومة منها وحالمة بها .

وبالإضافة إلى ذلك ستتزوج من ذلك الشاب الوسيم الجذاب الذى تلاحقه الأخريات .. والذى سيكون لها وحدها .

وصعدت فى سلم المنزل وهى منتشية بسعادتها ..

تأمل ألا ينتزعها أحد من هذه اللحظات الرائعة التى تعيشها .

لكن سرعان ما أفاقت من نشوتها حينما سمعت صوتًا يناديها قائلاً :

- (غادة) .

نظرت (غادة) خلفها لترى (مجدى) وقد بدا أنه كان فى انتظارها .. وما لبث أن سألها قائلاً :

- أين كنت ؟

ارتبكت للحظات لرؤيته المفاجئة لكنها سرعان ما استعادت هدوءها وقالت :

- هل كنت ترقبنى ؟

- لقد سألت والدتك عنك أكثر من مرة .. لكنها أخبرتنى بأنك لم تحضرى بعد .. أريد أن أعرف أين كنت ؟

قالت له وقد ضايقها أن يعطى لنفسه حق مساءلتها على هذا النحو :

- كنت فى النادى .

- ألم أطلب منك عدم الذهاب إلى هذا النادى ؟ ثم هل تبقين فى النادى إلى هذا الوقت ؟

قالت له وقد عجزت عن السيطرة على انفعالها :

ـ وما شأنك أنت بذلك ؟

نظر إليها باستنكار قائلاً :

ـ ما شأنى ؟ إننى خطيبك .

قالت له باستعلاء :

ـ لم تصبح كذلك بعد .

ـ إننى مستعد لإتمام هذه الخطبة رسميًا فى أى وقت .. لكنك أنت التى تماطلين فى إتمامها .. ومع ذلك فأنا أعتبر نفسى خطيبك منذ أن اتفقنا على الزواج .

قالت له وهى تستجمع شجاعتها :

ـ إننا لن نتزوج .

حدق فيها مذهولاً وهو يقول :

ـ ماذا تقولين ؟

ارتقت إحدى درجات السلم وهى تقول له :

ـ من فضلك يا (مجدى) .. لا يصح أن نتحادث ونحن واقفان على السلم هكذا .

لكنه أمسك بساعدها فى غضب ليستوقفها قائلاً :

ـ انتظرى هنا .. لا يمكنك أن تقولى كلمة كهذه .. وتلغى كل ما اتفقنا وتعاهدنا عليه فى لحظة .. ثم تتركينى وتذهبى ..

قالت له وهى تحاول أن تسحب ساعدها من يده :

ـ أرجوك يا (مجدى) .. دع يدى .

قال لها دون أن يترك يدها :

ـ قولى لى ما معنى هذا الذى قلته الآن ؟!

ـ معناه واضح .. إننى لست مستعدة للزواج منك .. هل تريد توضيحًا أكثر من ذلك ؟

ـ لكن لم يكن هذا هو كلامك معى منذ شهر مضى .. لقد كان بيننا حب وعهد .. وأنا وافقت على كل ما طلبته منى .. وبعت نصيبى فى الأرض من أجلك .

ـ كل شىء قسمة ونصيب .. وأنت لم تخسر شيئًا على أية حال .

نظر إليها فى مرارة قائلاً :

ـ لم أخسر شيئًا ؟ تحطمين قلبى .. وتنزعين منى سعادتى فى لحظة ، ثم تقولين إننى لم أخسر شيئًا ؟

ـ يمكن أن تعثر على فتاة أخرى تسعدك أكثر منى .

ـ لكننى أحبك .. وأنت تعنين بالنسبة لى كل شىء .
قالت له بجمود دون أن تهتز مشاعرها :
ـ آسفة يا (مجدى) .. ولكنى لا أبادلك هذا الحب .. إن بيننا ألفة وصداقة طويلة .. ولكن ...
قاطعها قائلاً :
ـ لكنك خدعتنى وأوحيت لى بغير ذلك .
ـ أنا لم أقل لك إننى أحبك .
ـ ولكن كل تصرفاتك معى كانت توحى بذلك .. ثم إذا لم تكونى قد أحببتنى .. إذن لماذا وافقت على الزواج منى ؟
قالت له بانفعال وقد أحست بأن هذا النقاش يرهق أعصابها ويضعها فى موقف المذنبة .. برغم أنها كانت تعرف أنها مذنبة بالفعل .. وكانت تعد نفسها لهذه المواجهة التى لابد أن تحدث حتماً .
ولكن لم تكن تريدها فى هذا الوقت الذى تعيش فيه أسعد لحظات حياتها :
ـ لأنك كنت تلاحقنى دائماً برغبتك فى الزواج منى .. ولأنه لم يكن يوجد وقتها من هو أفضل منك بالنسبة لى كزوج .

سألها قائلاً :
ـ والآن .. هل وجدت من هو أفضل ؟ هل هناك شخص آخر ؟
لم تجبه .. وواصلت صعودها فى درجات السلم .
لكنه لحق بها قائلاً بانفعال :
ـ أجيبينى .. هل هناك شخص آخر وراء تخليك عن اتفاقنا ؟
قالت له بانفعال مماثل وهى تقف أمام باب شقتها :
ـ نعم .. نعم .. هناك شخص آخر .
وفى تلك اللحظة فتحت الأم باب الشقة على إثر سماعها لصوتهما المرتفع قائلة :
ـ ما هذا ؟ هل تتشاجران ؟ إن صوتكما مرتفع للغاية ؟
ونظرت إلى ملامح الانفعال الواضحة على وجهيهما قائلة :
ـ ماذا حدث ؟
لكن ابنتها لم تجب بشىء .. بل دلفت إلى الشقة مباشرة .

بينما ظل (مجدى) واقفا فى مكانه لبرهة من الوقت .. ثم ما لبث أن هبط فى درجات السلم بخطوات ثقيلة ، وهو يكاد أن يتهاوى من وقع الصدمة ، دون أن يجيب عن سؤالها بدوره .

ونظرت الأم إليه فى حيرة .. ثم ما لبثت أن لحقت بابنتها داخل الشقة ..

★ ★ ★



١١ - من أجل حبى ..

بعد مرور ثلاثة أيام حضرت (نهلة) إلى شقة (غادة) حيث استقبلتها أمها مرحبة :

- أهلاً يا (نهلة) .. تفضلى يا حبيبتى .
- هل (غادة) موجودة ؟
- نعم .. إنها فى حجرتها .
- أيمكن أن أدخل إليها ؟
- بالطبع يا بنيتى .. ادخلى إليها .. فلست فى حاجة إلى استئذان .

ثم ما لبثت أن استوقفتها وهى تهمس لها قائلة :

- ليتك تتحدثين إليها وتنصحينها .. إننى لا أفهم لماذا تراجعت عن خطبتها من (مجدى) ؟

قالت (نهلة) وهى واجمة :

- هذا ما جئت من أجله .

طرقت باب الحجرة ، ثم دخلت إليها حيث كانت راقدة على فراشها ، وما إن رأتها حتى اعتدلت جالسة وهى تستقبلها قائلة :

- أهلاً يا (نهلة) .. تعالى .
جلست (نهلة) بجوارها قائلة :
- جئت لأراك مادمت أنت لا تريدين أن تريني .
- أبداً يا (نهلة) .. إنها مجرد ظروف .
- وما هى تلك الظروف التى باعدت بينك وبين صديقة الطفولة ، والتى تسكنين معها فى بيت واحد ؟
- دعك من هذه المقدمات وأفصحى لى عما تريدين قوله .. فلا أظن أنك قد جئت لزيارتى لأننى وحشتك فقط .
- معك حق .. لقد جئت للتحدث معك فى أمر محدد .
نهضت (غادة) واقفة وهى تقول :
- خطبتى لـ (مجدى) .. أليس كذلك ؟
- هأنتذى قد وفرت علىّ المقدمات .. نعم هذا ما جئت من أجله .
- أمى هى التى طلبت منك ذلك .. أليس كذلك ؟
- والدتك لم تطلب منى أى شىء .. وهى نفسها مازالت تجهل سر تراجعك عن هذه الخطبة .
- اسمعى يا (نهلة) .. موضوع عدم ارتباطى بـ (مجدى) هو أمر يخصنى وحدى ولا أريد لأحد أن يتدخل فيه .

- نهضت (نهلة) لتقف بجوارها وهى تضع يدها على كتفها قائلة :
- لكننى لست أى أحد يا (غادة) .. إننى صديقتك التى تربت معك فى هذا المنزل كما لو كنا أختين ..
- إن الأمر بمنتهى البساطة هو أننى لا أريد أن أتزوج من (مجدى) .. وهذا من حقى .. ولا يحتاج الأمر إلى التدخلات والوسطاء .
- لم آت إلى هنا لكى أكون دخيلة أو وسيطة .. لكنى جئت بصفتى صديقة .. صديقة لك ولـ (مجدى) .. إن (مجدى) يحبك يا (غادة) .. يحبك بكل جوارحه .. وتأكدى أنه هو الوحيد القادر على إسعادك مادام يحمل لك كل هذا الحب .
ولا أظن أن أى شخص اخترته يمكنه أن يمنحك هذا الحب .
- إذن فقد أخبرك بالأمر .. إذن فلتعلمى أن ذلك الشخص موجود .. شاب ثرى .. من عائلة غنية ومحترمة .. شخص مستعد أن يوفر لى كل أسباب السعادة الحقيقية .. التى لا يمكن أن يمنحها لى (مجدى) أو سواه ممن يسكنون هذا الحى أو الأحياء المجاورة .

شخص مختلف تماما عن الأشخاص الذين نعرفهم .. وعن المجتمع الذى تعودت أنا وأنت أن نتعامل معه .

سألتها (نهلة) بهدوء قائلة :

- هل ينوى أن يتزوجك ؟

- نعم .. وقد وافقت .

وفى تلك اللحظة اقتحمت أمها الحجرة بعد أن استمعت إلى ما قالته ابنتها قائلة :

- إننى لن أوافق على هذا الزواج مهما حدث .. إذن فهذا هو السبب الذى جعلك ترفضين (مجدى) .. يا لك من خائنة !

تتعرفين شخصًا آخر وتتفقين معه على الزواج .. وأنت مرتبطة بغيره ؟!

صاحت (غادة) قائلة :

- أنا لم أرتبط بـ (مجدى) ارتباطًا رسميًا .

قالت لها الأم محتدة :

- لكنك ارتبطت معه بوعد وعهد .. والكل أصبح يعرف أنكما ستتزوجان .. ماذا أقول للناس ؟ ماذا أقول للجيران ؟ ولأخيه ؟

- إننى لن أضحى بحياتى ومستقبلى من أجل الناس

والجيران .. قولى لهم ببساطة إننى قد اخترت من هو أفضل بالنسبة لى .. أو لا داعى لأن تقولى شيئا .. فنحن لسنا بحاجة لأن نقدم لأحد تقريرًا عن تصرفاتنا .. إننى سآخذك من هنا .. ستنتقلين معى إلى مجتمع جديد .. وناس مختلفين .. تتنفسين هواء نقيًا بعيدًا عن هذه الأزقة الضيقة .. وتنعمين بالحياة التى حرمت أنا وأنت منها .

- تقصدين الحياة التى تطلعت دائمًا إليها .. والتى تمردت بسببها على كل شىء .. على الناس الذين تعرفينهم .. والذين شاركونا همومنا وأحزاننا .. على هذا البيت الذى اعتبرك كل فرد من سكانه بمثابة ابنة له .. على القيم والمبادئ التى حاولت أن أربيك عليها .

صاحت (غادة) قائلة :

- من حق كل إنسان أن يتطلع لما هو أفضل .. وليس من حق أحد أن يلومنى على ذلك .

- يا بنيتى .. اسمعينى ...

قاطعتها (نهلة) قائلة :

- انتهى الأمر يا (طنط) .. إن الكلام لن يفيد بشىء ..

فـ (غادة) قد اختارت ومن الواضح أنها لن تتراجع عن اختيارها .

واقتربت من صديقتها لتتحدث إليها قائلة :

- أرجو أن تكونى قد وفقتِ بالفعل لما هو أفضل لك .

ثم استدارت وهى تهم بمغادرة الحجرة .. لكن (غادة) استوقفتها قائلة :

- انتظرى !

ثم أردفت بحذر :

- إننى لا أدرى ما هو الدافع وراء هذه التمثيلية التى جئت لتمثيلها معى .

نظرت (نهلة) إليها بدهشة قائلة :

- تمثيلية ؟

- نعم .. أتظنيننى غبية ؟ إننى أعرف جيداً أنك تحبين (مجدى) .. وأنك كنت تتمنين أن يكون زوجاً لك .. وأظن أن واحدة مثلك كان يتعين عليها أن تسعد لأن زواجى لن يتم .. فإن هذا سيكون فى صالحك .

صاحت أمها بغضب قائلة :

- (غادة) !!

لكن (نهلة) استوقفتها قائلة :

- من فضلك يا (طنط) .

ثم تحولت إلى (غادة) قائلة :

- نعم يا (غادة) وأعرف أنك كنت تعرفين ذلك .. وأن موافقتك على الزواج منه كان من بين أسبابها أن تثبتى لى أنك تستطيعين أن تأخذى منى الرجل الذى أحببته .. فهذه هى طريقتك التى اعتدت عليها منك منذ أن كنا أطفالاً .

فقد اعتدت الأخذ ولم تعتادى العطاء .. كنت تعمدين دائماً إلى إثارة الاهتمام بك ، وسلب الآخرين ما يحبونه لكى ترضى أنانيتك وغرورك ..

أنانيتك التى دفعتك لأن تعبثى بمشاعر شاب يحبك .. ثم تتركيه من أجل السعى وراء آخر أكثر ثراء .. تتخلى عنه دون وازع من ضمير .. أما أنا فلست مثلك .. إننى مستعدة للتضحية بحبى وسعادتى من أجل سعادة الشخص الذى أحبه .

لقد جئت لأحاول أن أعيدك للشخص الذى أحببته ، برغم أننى واثقة أنك لست الإنسانة التى تستحقه

لسبب واحد .. هو أننى لم أتحمل أن أراه يتألم بسبب غدرك به ..

صفقت (غادة) بطريقة تمثيلية قائلة بسخرية :

ـ أهنئك ! لقد أديت دور شهيدة الغرام ببراعة فائقة .

صاحت الأم قائلة :

ـ يكفى هذا !

بينما استطردت (غادة) قائلة :

ـ على أية حال .. لقد أديت دورك كما يجب .. وقمت بواجبك على الوجه الأكمل .. وتستطيعين الآن أن تظفرى بالشخص الذى أحببته .

وأردفت قائلة بتهكم :

ـ لو استطعت أن تجعليه يحبك ..

انخرطت (نهلة) فى البكاء وهى تسرع بمغادرة الحجرة .. بينما التفتت الأم إلى ابنتها وقد ارتسمت على وجهها ملامح الاستياء والغضب .

* * *

١٢ ـ حلم لم يتحقق ..

نظرت إليه بذهول قائلة :

ـ ماذا تعنى بأنك لن تستطيع أن تتزوجنى ؟

أجابها (سمير) قائلاً :

ـ إن أبى يرفض زواجى منك .. ويصر على أن يزوجنى من ابنة عمى .

ـ وأنت .. ما موقفك ؟ هل سترضخ لما يطلبه منك أبوك بهذه البساطة ؟

ـ يا (غادة) افهمينى .. إن أبى رجل مريض .. والأطباء حذرونا من أى انفعال زائد يمكن أن يحدث له ، وطلبوا أن نتعامل معه بمنتهى الرفق والحذر .

ـ دعك من هذا الكلام .. وقل : إنك تريد أن تتهرب من وعدك لى بالزواج .

ـ أنت تعرفين أننى أحبك لكن الظروف أقوى منى .. إننى لا أستطيع أن أغضب أبى بعد أن اشتد به المرض .

- لكن تستطيع أن تتزوج من ابنة عمك كما طلب منك .. أليس كذلك ؟

- مادام يريد منى ذلك .. فسوف أحقق له رغبته .

قالت له وكأنها تستنجد به :

- وأنا ؟

- أنا آسف يا (غادة) .

قالت له وهى تكاد تبكى :

- آسف ؟ هل هذا هو كل ما يمكنك أن تقدمه لى الآن ؟ إنك بذلك تهدم كل شىء .. لقد ضحيت بالكثير من أجلك .. ضحيت بالشخص الذى أحبنى .. ووافق على كل شروطى المجحفة من أجل أن يتزوجنى .. ضحيت برضا أمى علىّ .. وهى التى أفنت عمرها من أجلى .. أصبحت مكروهة ومنبوذة من كل من يحيط بى بسببك .

لكنى تحديت الجميع من أجلك .. وتمسكت بألا أتزوج أحدًا سواك .

ماذا أقول لهم الآن ؟ وكيف أواجههم ؟ بل كيف سأواجه نفسى بعد أن رسمت صورة وردية لمستقبلى وأحلامى معك ؟

قال لها وهو محتفظ بصلابته :

- إنك فتاة جميلة وجذابة .. ومن المؤكد أنك ستجدين شخصًا آخر سواى يمكن أن ترسمى آمالك وأحلامك معه .

قالت له وقد اغرورقت عيناها بالعبرات :

- لكننى أحببتك ..

قال لها بهدوء :

- وأنا أيضًا أحببتك ومازلت أحبك .. لكن كما قلت لك الظروف أقوى منى .

صاحت فى وجهه قائلة :

- كاذب .. أنت كاذب .. لقد خدعتنى .. وكان وعدك منذ البداية كاذبًا .

تلفت حوله قائلا لها :

- (غادة) .. من فضلك .. الناس ينظرون إلينا .

عادت لتقول له فى توسل دون أن تعبأ بنظرات الناس :

- (سمير) .. أرجوك لا تتخل عنى .. إننى أحبك .. ومستعدة أن أفعل أى شىء يرضيك .. ولكن لا تتركنى .

قال لها بحسم وهو يضع ثمن المشروب الذى تناولاه على المائدة :

ـ (غادة) .. لقد انتهى الأمر .. إننى سأتزوج من ابنة عمى الأسبوع القادم .. ولن يمكننا أن نتقابل بعد الآن .

وانصرف وتركها جالسة أمام المائدة ، وهى واجمة وقد انسابت العبرات فوق وجنتيها .

لقد انهار فجأة حولها كل ما بنتـه من آمال ، وما رسمته من أحلام .

تلاشت ملامح الصورة الوردية التى تخيلت نفسها جزءًا منها لتصبح الصورة قاتمة السواد .

وفقدت فى هذه اللحظة اليد التى تصورت أنها ستمتد لها لتنتشلها من بحر الفقر والبؤس والحرمان ، إلى شاطىء الرفاهية والأحلام الوردية ، ولتجد نفسها وقد تعين عليها أن تصارع الأمواج من جديد .

★ ★ ★

قال (حسين) وهو يضع الملفات التى معه على مكتب (سمير) وقد احتقن وجهه من شدة الغضب :

ـ لا يمكننى أن أكمل معك بهذه الصورة .. سوف أستقيل .

قال له (سمير) :

ـ هل ستستمر فى ترديد هذه الكلمة كلما ترانى ؟

ـ أنا لا أستطيع أن أعمل بهذه الطريقة .

ـ إننى لا أتدخل فى عملك فى شىء .. وأطلق يدك فى كل ما يتعلق بأمور الشركة .

ـ ليس صحيحًا .. لقد أصبحت تتدخل فى أمور كثيرة لا تخصك منذ وفاة الحاج (فهمى) .. كما أنك تنفق كثيرًا من أموال الشركة على شئونك الخاصة .. وكل هذا على حساب ميزانية الشركة .. وعلى حجم العمل بها .

قال (سمير) محتدًا :

ـ أنا حر .. إننى امتلك هذه الشركة الآن .. وهذه الأموال التى تتحدث عنها هى أموالى أنا بعد أن ورثتها عن المرحوم أبى .

قال له (حسين) منفعلاً :

ـ حسن .. لا اعتراض لدى .. إنها أموالك .. وهذه شركتك .. لكن أنا أيضًا حر .. ولا يمكننى أن أعمل مع شخص لا يقدر المسئولية ويبعثر ميزانية الشركة على هواه .

هب (سمير) واقفا وقد علا صوته قائلا :

- اسمع يا (حسين) .. إذا كان أبى قد سمح لك بأن تتعامل معه بهذا الأسلوب فأنا لا أسمح به .. ولا أقبل أن تتحدث معى هكذا .

حنى (حسين) رأسه قائلا :

- آسف يا أستاذ (سمير) .. لكن من فضلك اقبل استقالتى الآن .

- لا مانع لدى .. قدمها .. وسأقبلها الآن فورًا .

تناول (حسين) إحدى الأوراق من جيبه ليقدمها له قائلا :

- إنها جاهزة .

* * *

كانت (غادة) جالسة أمام النافذة ، حينما رأته يوقف سيارته أمام الدار .. وهو يندفع مسرعًا إلى داخل المنزل دون أن يلقى ولو نظرة عابرة عليها .

وأرادت أن تستطلع الأمر ففتحت باب الشقة .. لتراه وهو يطرق باب شقة (حسين) وقد بدت ملامح الاضطراب واضحة على وجهه .

فتح (حسين) الشقة ليفاجأ برؤية (سمير) أمامه .. فقال له مندهشًا :

- (سمير) ؟

دخل (سمير) مسرعا إلى الشقة دون استئذان قائلا :

- حمدًا لله على أننى وجدتك .

نظر (حسين) إليه بحيرة قائلا :

- خيرا ؟ ما الذى أتى بك ؟

أمسك (سمير) بساعديه وكأنه يستنجد به قائلاً :

- أرجوك يا (حسين) .. إننى بحاجة ماسة إلى مساعدتك .. الشركة فى طريقها إلى الإفلاس .

لقد تكاثرت الديون .. والمشروعات التى قمنا بها فى الآونة الأخيرة حققت خسائر كبيرة .. ولم تعد الميزانية تكفى إلا لسداد رواتب العاملين بالشركة .

قال (حسين) وهو ينظر إليه باستياء :

- لماذا لا تكمل ؟ والمصاريف الباهظة التى أنفقتها لحسابك الخاص من ميزانية الشركة فى المظاهر والحفلات والفيلا الأنيقة فى العجمى .. والسيارة الجديدة إلخ .. إلخ .

- أنا لم آت إليك الآن لتلومنى .. وتذكرنى بما

ارتكبته من أخطاء .. لقد جئت لتساعدنى على إنقاذ الشركة من الخراب .

- وماذا تريد منى أن أفعل لك الآن ؟ إننى مستقيل من شركتك منذ ثلاثة أشهر .

- (حسين) .. هذه الشركة تهمك كما تهمنى .. لقد شاركت فى نجاحها بعرقك وجهدك .. وكان والدى يعتبرك دائماً كما لو كنت شريكاً له فيها .. أرجوك ساعدنى على إنقاذها .

- الآن تطالبنى بمساعدتك على إنقاذها .. أنت السبب فيما وصل إليه حال الشركة .. لقد حذرتك كثيراً .

- أعترف بأننى أخطأت كثيراً .. وأننى تصرفت برعونة وطيش .. ولم أقدر قيمة خبرتك وتحذيراتك إلى أن وصلت الشركة إلى ما وصلت إليه .. والآن أنا بحاجة لمساعدتك لإنقاذ هذه الشركة .

فأنت تعرف أنها كانت تعنى الكثير بالنسبة للمرحوم والدى .. وقد أوصاك بها والدى .. كما أوصاك بى .. أم أنك قد نسيت ذلك ؟

- وما الذى يمكننى أن أفعله الآن ؟

- أولاً : تعود إلى العمل بالشركة .. ثانياً : تجرى اتصالاتك بعملاء الشركة من أصحاب الديون ، لتطالبهم بتأجيل هذه الديون قليلاً وتقسيطها أو إعادة جدولتها .. ثالثاً : نتشاور معاً فى الطريقة التى يمكننا بها إعادة الشركة إلى ما كانت عليه .

- وهل تظن أن أصحاب الديون سيقبلون مطالبتى لهم بتأجيلها أو إعادة جدولتها كما تقول ، وهم يعرفون بالوضع المالى للشركة الآن ؟

- حاول معهم بأية وسيلة .. فأنت على علاقة طيبة بهم جميعاً .. وكلهم يحترمونك ويقدرونك .

- إذن .. فهذا هو السبب الحقيقى الذى جعلك تلجأ إلىّ الآن .

- بل لثقتى بأنك الوحيد الذى يستطيع إصلاح الأمر برمته .

- آسف .. لقد انتهى أوان الإصلاح .. وعليك أن تتحمل عاقبة تصرفك .

خفض (سمير) بصره قائلاً فى استسلام :

- إذن لا مناص من إشهار إفلاس الشركة وبيعها .

وتوجه (سمير) إلى الباب ليغادر الشقة .. لكن (حسين) استوقفه قائلا :

- انتظر !

نظر إليه (سمير) متعلقا ببارقة أمل يمكن أن تساعد على إنقاذ الموقف ..

فقال له (حسين) بعد برهة من التفكير .

- إننى سأحاول مساعدتك .. ولكن عليك أنت أيضا أن تساعدنى لمعالجة هذا الوضع المتدهور .

قال له (سمير) وقد ابتهج لموافقة (حسين) على مساعدته :

- أنا مستعد لأن أفعل ما تطلبه منى .

- تبيع فيلتك فى العجمى وتتخلى عن بعض الكماليات التى قمت بشرائها فى الفترة الأخيرة للإسهام فى تسديد ديون الشركة .

- إننى مستعد لذلك وقد فكرت فيه .. لكنه لا يكفى إلا لسداد جزء من هذه الديون .

- إن لدىّ مبلغا فى البنك سأسدد به بقية الديون المتبقية على الشركة ..

تهلل وجه (سمير) بالفرحة قائلاً :

- حقًا ؟

- لكن على شرط .

- ما هو ؟

- أكون شريكًا لك فى ملكية الشركة .

- شريكًا ؟

- نعم .. وهذه المرة شريكا فعليا وليس شريكًا فى الإدارة .. هذه هى الوسيلة الوحيدة التى أضمن بها حقى .. وقدرتى على إدارة العمل فى الشركة .. بالطريقة الملائمة .. دون أن أكون مضطرًا فى أية لحظة إلى تركها لو حاولت الاعتراض على تصرفاتك الخرقاء .

- ولكن ..

- هذا هو شرطى الوحيد .. إن هذه الشركة تهمنى كما تهمك .. وقد شاركت فى نجاحها بعرقى وجهدى وخبرتى كما تقول .. وأنا أريد أن أضمن ألا تغل يدى فى إدارتها .. بالطريقة التى تسهم فى استمرار هذا النجاح لو عدت إليها .

فكر (سمير) قليلاً .. ثم ما لبث أن قال له :

ـ حسن .. أنا موافق .

ـ إذن نلتقى غداً لإعداد الترتيبات اللازمة بهذا الشأن .

انصرف (سمير) بينما أغلق (حسين) الباب وراءه ، وقد ارتسمت ملامح البهجة والسعادة على وجهه .. فأخيراً سوف يتحقق حلمه ويصبح شريكاً فى ملكية هذه الشركة ، التى بذل فيها الكثير من الجهد والعرق وليس مجرد موظف فيها .

أخيراً سيرى الثمار الحقيقية لمجهوده بعد أن كانت تذهب لغيره ..

وصمت برهة وهو يفكر قليلاً ..

لكنه سيضطر لسحب كل مدخراته .. وبيع الفدان الذى يمتلكه من أجل تسوية هذه الديون ..

على أية حال لقد كان يدخرها ليوم كهذا .. لقد ظل يقتر على نفسه ويحرم نفسه من أجل عمل كبير .. يجعله ذات يوم من رجال الأعمال ويعود عليه بالنفع الحقيقى .. وهو يعرف كيف سيستثمر ماله جيداً فى

هذه الشركة .. لتصبح من أكبر شركات المقاولات .. فلديه من الخبرة .. ومن العزيمة ما يمكنه من أن يحقق به ذلك .

وما لبث أن سمع طرقات على الباب فنهض ليفتحه .. وإذا به يرى (غادة) واقفة أمامه وهى تقول له بصوت ناعم :

ـ صباح الخير !

* * *



١٢ - أكثر مما حلمت ..

نظر إليها بوجه متجهم قائلا :

- أنت ؟

سألته (غادة) قائلة :

- ألن تسمح لى بالدخول ؟

سألها قائلاً :

- هل تريدين شيئاً ؟

- إنك لم تعاملنى هكذا من قبل .

- أظن أنك لا تستحقين إلا هذه المعاملة بعدما فعلته مع أخى .

- دعنى أدخل أولاً .. ثم حاسبنى فيما بعد .

أفسح لها (حسين) الطريق قائلاً :

- تفضلى .

سألته بعد دخولها :

- ما أخبار (مجدى) ؟

- وما شأنك بذلك ؟ لقد رحل (مجدى) عن هذا

المنزل وعن القاهرة كلها بسببك .. بل وبسببك أنت رفض حتى الوظيفة ذات الأجر المرتفع التى وفرتها له ، وفضل أن يعمل فى مدينة أخرى بعيدة عن هنا .

- أستاذ (حسين) .. لماذا تصرون جميعاً على أن تحملونى ذنب رحيل (مجدى) عن هنا .. وحساسيته الزائدة بشأن عدم إتمام زواجنا ؟

- لأنه لولا تصرفك هذا وتنكرك لاتفاقك معه لما رحل .

- وهل كان من المفترض أن أتزوج من شخص لا أحبه لإبقائه معك هنا ومنعه من الرحيل ؟ وماذا عنى ؟ عن مشاعرى .. عن حريتى فى الاختيار ؟

قال لها غاضباً :

- لم يجبرك أحد على الاتفاق معه على الزواج .. ودفعه إلى الارتباط بك عاطفيًا على هذا النحو .

ثم إن هذا الحب الذى تنكرينه الآن ؛ كان قائمًا وموجودًا قبل أن تتعرفى هذا الشخص الذى فضلته عليه لثرائه ، ولأنه يقدم لك فرصة أفضل .

- ألم يدر بخلدك أننى ربما أكون قد اختلقت وجود هذا الشخص ، من أجل أن أمنع (مجدى) من بناء

أمل بشأن ارتباطنا فى المستقبل .. ولأتيح الفرصة له بدوره لكى يلتقى الإنسانة التى تناسبه دون التعلق بهذا الأمل ؟

- لا تحاولى أن تكذبى علىّ .

- ولماذا لا تحاول أن تصدقنى ؟

- لأننى لا أرى سببًا واحدًا يمنعك من الارتباط بـ (مجدى) بعد ما لمسته من حب وعاطفة بينكما .. سوى وجود شخص آخر فى حياتك تخليت عن (مجدى) من أجله .

- لقد كنت أظن مثلك أن ما بيننا هو حب وعاطفة حقيقية .. وهذا ما دفعنى إلى الموافقة على الزواج منه .. لأننى لم أر من هو أفضل منه ممن عرفتهم ، لكى يكون زوجًا لى .. لكن سرعان ما تبين لى أننى كنت واهمة وأن ما يربطنى بـ (مجدى) فقط هو العشرة الطويلة .. والصداقة القوية .. والألفة التى قد تجمع ما بين أخوين .. لكنه إحساس مختلف عن أحاسيس الحب الحقيقى .. لذا فضلت أن أتراجع فى الوقت المناسب .. بدلا من أن أرتبط به دون عاطفة حقيقية .

- هل تظنين أنك تستطيعين أن تخدعينى بذلك ؟

- صدقنى هذه هى الحقيقة .

- على أية حال .. لقد انتهى الأمر .. وأنا بذلت محاولات عديدة مع (مجدى) لكى يعود ويعمل معى لكنه مصر على الرفض .. ويؤكد لى دائمًا أنه مستريح فى وجوده بعيدًا عن القاهرة .

- إن ما يهمنى هو أن تقدر حقيقة موقفى .. ولا تتحامل علىّ مثل الآخرين .

- هل أعد لك كوبًا من الشاى معى ؟

ابتسمت قائلة :

- بل سأعده بنفسى .

قال لها مرتبكًا وقد أحس لأول مرة أن ابتسامتها جذابة للغاية :

- كلا .. هذا لا يصح ..

اتجهت بجرأة غير عادية نحو المطبخ قائلة :

- دعك مما يصح وما لا يصح .. هل نسيت أننى كنت أتردد على هذه الشقة دائمًا وألعب فى كل ركن من أركانها ؟

لحق بها قائلاً :

- ولكن الأمر يختلف الآن .. أنت أصبحت شابة جميلة .. ووجودك معى هنا ...

حاصرته بنظراتها وقد أحست بتأثيرها الواضح عليه قائلة :

- هل تخشى من وجودى معك هنا بمفردنا ؟
- إننى أخشى أن يكون فى هذا ما يسىء إليك .
- إننى أثق بك ثقة كاملة .. ثم إنك كنت دائما بمثابة أخ أكبر لى .
- نعم .. ولكن الناس لا ترى ذلك .

ابتسمت له قائلة وهى تعد الشاى :

- لم أكن أظن أنك تخاف علىّ إلى هذا الحد

وتطرقت إلى الموضوع الذى جاءت من أجله لزيارته قائلة :

- بالمناسبة .. لقد لمحت ابن صاحب الشركة التى تعمل بها وهو يزورك منذ قليل ..

سألها قائلا :

- وهل تعرفينه ؟
- هل نسيت أننى أخبرتك من قبل أنه أخطأ فى شقتك وطرق باب شقتنا .. عندما جاء لزيارتك أول مرة .. وأننى فتحت له الباب ؟

- آه .. نعم لقد تذكرت .. هو أيضا أخبرنى بذلك وقتها .
- هل كان يريد منك شيئا ؟
- لا .. إنها بعض الأمور التى تتعلق بالعمل .
- لكنى ظننت أنك قد استقلت من العمل فى شركته .
- لقد طلب منى أن أعود للعمل بالشركة .

قالت (غادة) وهى تقدم له الشاى :

- وهل وافقت ؟
- نعم .

نظر إليها باستغراب لتطرقها إلى هذا الأمر الذى لا علاقة لها به

فسارعت لتقول وقد لاحظت استغرابه :

- بالطبع إنك قد استقلت لأسباب وجيهة .. ولا بد أن تكون عودتك أيضا لأسباب مقنعة .
- لقد استقلت لسوء إدارته للشركة وتدخله المستمر فى اختصاصاتى مما أدى إلى تدهور أحوالها .. ولكنى سأعود إلى الشركة هذه المرة ليس بصفتى موظفا بها بل بصفتى شريكا ..

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- شريكا ؟

- نعم .. لقد طلب منى أن أساعده لتغطية ديون الشركة .. وقد وافقت على ذلك مقابل أن يكون لى نصيب الشريك .

- هذا خبر سار للغاية .. ولكن من أين لك بالنقود اللازمة لتغطية هذه الديون ؟

- إننى أحتفظ بمبلغ مناسب فى البنك .. بالإضافة إلى أننى سأبيع الفدان الذى أمتلكه فى البلد .. وأظن أن هذا كاف لتغطية المبلغ المطلوب وإصلاح أحوال الشركة .

انصرفت (غادة) من شقة (حسين) وهى تفكر فيما قاله لها .. وظلت طوال الليل ساهرة تفكر فيما سمعته .. إن (حسين) سيكون شريكا لـ (سمير) فى امتلاك شركة المقاولات .. وهذا يعنى أن (حسين) سيصبح من الأثرياء بالفعل .. وسيكون مساويا له فى كل شىء .. سيصبح من رجال الأعمال .. وبالطبع لن يظل هنا فى هذه الشقة المتواضعة بعد أن يصبح شريكا فى شركة مقاولات كبيرة كهذه ..

إذن فـ (حسين) هو الشخص الذى تحتاج إليه فى المرحلة الحالية .

إنها ستتزوجه .. وستلجأ لكل حيلة من أجل ذلك .

وبذلك تضرب عصفورين بحجر واحد .

أولا : تتزوج من رجل لا يقل مركزا وثراء عن الرجل الذى كانت تحلم بالزواج منه ..

ثانيا : ترد الصفعة لـ (سمير) بعد أن تخلى عنها وتزوج من ابنة عمه .. وتثبت له أنها استطاعت أن تتزوج من شخص يساويه .

حقا .. إن (حسين) يكبرها باثنين وعشرين عاما .. وهو ليس من ذلك النوع الذى يجذب انتباه أية امرأة بملامحه التى تخلو من الوسامة ومظهره غير المهندم .. وعدم إجادته للحديث عن شىء سوى عمله .

لكنه الشخص الوحيد الذى يمكن أن يحقق لها الآن قدرا من آمالها التى انهارت يوم أن تخلى (سمير) عنها .

وهو الذى يستطيع أن ينقلها الآن من عالم الفقر الثقيل الذى كرهته إلى الحياة التى حلمت بها .

لا يهم إذا ما كانت تحبه أم لا .. لكن المهم أن تنجح فى أن تجعله يحبها .. ومن يدرى ؟ ربما هو يحبها ويخفى عنها ذلك .. برغم أن أمثاله يبدو عليهم أنهم لا يعرفون الكثير عن الحب .

ربما أن معرفته بعاطفة أخيه نحوها جعلته يحجم عن التعبير عن مشاعره ، لكنها واثقة من أن لها تأثيرا ما عليه .. وأنه لم يعد ينظر إليها على أنها الطفلة الصغيرة التى كان يضجر من شقاوتها كما كان يحدث فى الماضى .

فقد لاحظت ارتباكه واضطرابه فى أثناء حديثها معه ، وهى تعد الشاى فى مطبخه .. ويمكنها أن تستغل هذا التأثير لتحقيق هدفها المنشود .

★ ★ ★

فغر فاه وهو ينظر إليها قائلاً :

ـ أنا ؟ تحبيننى أنا ؟

ابتسمت له فى دلال قائلة :

ـ نعم .. هذه هى الحقيقة التى لم يعد هناك مفر من إطلاعك عليها .

قال لها وهو لا يصدق ما سمعته أذناه :

ـ ما هذا الذى تقولينه يا (غادة) ؟

ـ هذا ما كنت أخشاه .. لذا أخفيت مشاعرى نحوك بداخلى طوال هذه السنين .. ولم أحاول أن أبوح لك بها .. لأننى خشيت أن تستخف بعاطفتى نحوك هكذا .

ـ ولكن هذا لا يعقل !

ـ لماذا ؟

ـ لأنك فى عمر ابنتى تقريبا .

ـ الحب لا يعترف بعمر .

ـ لقد كنت أستعد منذ وقت قريب لإتمام زفافك على أخى الصغير .

ـ هناك شىء أخفيته عنك فى موضوع زواجى من (مجدى) ، ولم أشأ أن أبوح به .. فقد أخبرتك بأن عاطفتى نحو (مجدى) لم تكن عاطفة حب حقيقية .. بقدر ما كانت شعوراً بالألفة والمودة تجاه أخ أو صديق .. لكنى كنت صادقة مع (مجدى) حينما أخبرته بأن هناك شخصاً آخر سواه فى حياتى .. شخصاً أثق بأن عاطفتى نحوه حقيقية .. هذا الشخص هو أنت يا (حسين) .

ـ وما الذى يجعلك واثقة من صدق مشاعرك هذه المرة ؟

قالت له وهى تحاول أن تجيد دورها :

ـ لأن حبى لك نما فى قلبى منذ الطفولة .. لقد كنت أعرف أن هناك الكثير من العقبات التى تقف فى

سبيل حبى لك .. لذا حاولت أن أهرب من حبى بالموافقة على زواجى من (مجدى) .

لكنى لم أستطع .. أن أتزوج من شقيق الرجل الذى أحبه .

ظل صامتاً لبرهة قبل أن يقول :

ـ فى الحقيقة .. إن ما قلته الآن كان مفاجأة لى .. ولا أدرى ماذا أقول لك .. لكنى أظن أنك تستحقين من هو أفضل منى .. فأنت مازلت صغيرة وجميلة وهناك العديدون يتمنون ...

قاطعته قائلة :

ـ لكنى لا أحب أحداً سواك .. ولن أتزوج من شخص آخر غيرك .

اتسعت حدقتاه وقد أحس بأن هذا الحديث ما هو إلا حلم سرعان ما سيفيق منه بعد لحظات .

وظل مشدوهاً للحظة قبل أن يقول لها :

ـ (غادة) هل تعنين ما تقولينه ؟ أيمكن أن تتزوجى من شخص مثلى ؟

خفضت بصرها وهى تتظاهر بالخجل قائلة :

ـ إنها أمنية أتمنى لو تحققت .

قال لها وهو مازال مشدوهاً :

ـ لكنى لا أرى نفسى الشخص المناسب لك .

ـ قل إن العكس هو الصحيح .. وأنك ترانى غير مناسبة لك ..

ـ بالطبع لا تناسبينى .. فأنا أكبر منك سناً و ...

قاطعته قائلة :

ـ قلت لك .. إن هذه الاعتبارات لا أهمية لها لدى .. إننى لا أعرف سوى شىء واحد وهو أننى أحبك .. ولا أريد أن أعرف منك سوى شىء واحد أيضاً .. وهو ما إذا كنت تبادلنى هذا الحب أم لا ؟

قال لها وقد تهدج صوته من شدة الانفعال :

ـ ومن هو الذى يستطيع ألا يحبك يا (غادة) ؟ لكنى فى الحقيقة لم أعد نفسى لهذه المفاجأة .. ثم ...

ـ ثم ماذا ؟

ـ ثم هناك أخى .. إن (مجدى) يحبك يا (غادة) .. ماذا أقول له لو فكرت حقاً فى أن نتزوج ؟

ـ لا بد أنه سيقدر ويفهم .. فأنا لم أخدعه .. بل رفضى للزواج منه هو رفضى لأن أخدعه .

إننى أعرف جيدًا أنك لم تتزوج من أجله .. وكنت له بمثابة الأب والأخ .. ولا بد أنه سيلتقى يومًا ما بإنسانة أخرى يحبها ويسعد بزواجه منها .. ولا أظن أنه سيرضى بأن يكون أنانيًا ليحرمنا من السعادة التى نستحقها نحن أيضًا ..

تأملها قائلاً وقد اعتراه الاضطراب من فرط العاطفة :

- (غادة) .. مازلت لا أصدق .. إن ما قلته اليوم خلق منى إنسانًا جديدًا .. لقد جعلتنى أفكر فى أشياء لم أكن أحلم بها .. ومشاعر كنت أظن أنه لن يكون لها وجود فى حياة شخص مثلى .

إن كل هذا كثير علىّ .. فأنا .. أنا .. أتمنى لو قبلت فتاة رائعة مثلك أن تكون زوجة لى حقًا .

★ ★ ★



١٤ - زوجتى الجميلة ..

اصطحب (حسين) زوجته إلى منزله الجديد فى المعادى بعد أن ودّعا المدعوين ، كان سعيدًا إلى حد يصعب وصفه .. ولم يكن مصدقًا حتى هذه اللحظة وبالرغم من حفل الزفاف الكبير الذى أقامه ، وكل أولئك المدعوين الذين أحاطوا به وعروسه الجميلة التى تتأبط ذراعه ..

كان يعيش فى حلم رائع تمنى ألا ينتهى .

وكذلك كانت (غادة) وهى تضع أقدامها داخل تلك الشقة الجديدة الأنيقة .. فى هذا الحى الأنيق .. والتى تختلف تمامًا عن تلك الشقة الخانقة فى ذلك المنزل القديم الذى عاشت فيه منذ نعومة أظفارها ..

كانت (غادة) تعيش جزءًا من أحلامها .. فقد تزوجت رجلاً ثريًا .. سيطرت على مشاعره منذ الوهلة الأولى .. ونجحت فى أن تجعله يوافق على كل طلباتها .. حفل زفاف كبير فى فندق أنيق .. قدم لها

السيارة التى طلبتها .. والثياب التى تمنت أن ترتديها .. ربما لم تسكن فى الفيلا التى أرادتها .. لكن لابأس بهذه الشقة الأنيقة .. مؤقتًا .

إنها ليست كل الأحلام .. لكن جزءًا منها .. ومازال هناك من الأمنيات الكثير بانتظار التحقيق .. كما إنها حققت جزءًا من الانتصار الذى أرادته اليوم ، واستطاعت أن ترد الاعتبار لكبريائها الجريح .. فهى لن تنسى تلك النظرة فى عينى (سمير) وهو يوجه لها التهنئة بمناسبة الزفاف .

لقد عاملته بمنتهى التجاهل والجفاء .. برغم أن عينيه كانتا تنطقان بالندم على تخليه عنها

وزوجته .. إنها المرة الأولى التى ترى فيها زوجته .. ومن الواضح أنها تقل كثيرًا فى الجمال عنها .. إنها ليست المرأة التى تصلح لمنافستها .. فهى قد خطفت الأنظار منذ اللحظة الأولى التى وضعت فيها أقدامها داخل القاعة .. واستطاعت أن تتبين بوضوح نظرات الحسد فى عيون الرجال ، لأن زوجها قد ظفر بهذه الزوجة الجميلة .

شىء واحد كان يفسد عليها سعادتها هذه ،

ويضفى على جمالها المشرق سحابة من الحزن ، وهو عدم حضور أمها لفرحها .

لقد بذلت معها محاولات شتى وتوسلت إليها .. لكنها أصرت على عدم الحضور واتهمتها بتهم فظيعة .. اتهمتها بأنها إنسانة أنانية .. مخادعة .. وغادرة .. اتهمتها بأنها غدرت بـ (مجدى) .. وأنها تعبد المال ولا شىء سواه .. وأن هذا الزواج لن يكتب له النجاح .. لأنه غير قائم على الصدق والمشاعر الحقيقية .. وأن اختيارها لشخص يكبرها فى العمر باثنين وعشرين عامًا دافعه الوحيد هو الانتقام من (سمير) بعد تركه لها ، والاستفادة من المركز الاجتماعى الذى آل إليه (حسين) ، ومن ماله .

وفى النهاية أصرت على عدم حضور هذه الزيجة التى لم ترض عنها .

أيضًا فإن (حسين) برغم سعادته التى لا توصف بزواجه من (غادة) كان يدرك عدة أشياء تقلل من سعادته هذه ، وتكاد أن تفسدها بالرغم من أنه كان يحاول أن ينحيها عن تفكيره .. حتى ينعم بهذه السعادة التى لم يشعرها طوال حياته .

فقد كان يحس بالذنب تجاه أخيه .. لقد أرسل إليه وأخبره بكل شىء .. وأوضح له بمنتهى الصدق والصراحة أنه إذا لم يوافق على هذه الزيجة فإنه لن يستمر فى إتمامها .

وبالرغم من أن (مجدى) أعلنه بموافقته ، إلا أنه أحس من كلماته أنه قد تسبب فى اتساع جرحه بزواجه من (غادة) .. كما أنه لم يحضر الزفاف واكتفى بإرسال باقة الورد وكارت التهنئة .

إنه يرجو من صميم قلبه أن يتفهم موقفه .. وألا يكون زواجه من (غادة) سببًا فى شقائه .. فـ (مجدى) يعنى بالنسبة له الكثير .. وإذا كانت (غادة) قد استولت على قلبه فإن (مجدى) يشاركها فى ذلك .

والشىء الآخر الذى تسبب فى الإقلال من سعادته هو رفض والدة (غادة) حضور زفاف ابنتها .

ليس لأن ذلك قد سبب شيئًا من الحزن لعروسه فقط .. ولكن لأن هذه السيدة ليست مجرد والدة العروس فقط .. ولكن لأن لها منزلة كبيرة فى نفسه ..

وقد ظل دائمًا يحمل لها كل التقدير والاحترام منذ أن وطئت أقدامه هذا المنزل الذى تجاوره فى سكنه .. حتى إنه كان يعدها بمثابة أم له .. لكن كان عليه أن يطرح كل هذه الأشياء المحزنة من تفكيره هذه الليلة .. وأن يحاول ألا يشغل عقله بها ليتفرغ لعروسه الجميلة .. إنه لم يجرب هذه السعادة التى يعيشها الآن منذ سنوات بعيدة .. لذا عليه ألا يسمح لأى شىء أن يفسدها مهما حدث ، وأن ينعم بكل لحظة فيها .

* * *

مر عامان منذ أن تزوجا ، كان (حسين) خلالهما يبذل كل الجهد والعناء من أجل إسعاد زوجته .. تخلى عن حرصه القديم على المال .. وعن أسلوبه الذى اعتاده للتخطيط للمستقبل ، واعتداله فى الإنفاق ، والاعتماد على عقله وحده فى تدبير أموره .

زادت نفقاته عن موارده .. وألغى عقله تمامًا فى سبيل إرضاء زوجته .. وتلبية مطالبها التى لا تنتهى .. حتى إنه عرف لأول مرة فى حياته طريق الاستدانة وهو الذى لم يستدن طوال حياته .

كان مستعدا دائما للتضحية بكل نفيس وغال فى سبيل أن يرضيها ويسعدها .. حتى تكاثرت عليه الديون .

أما هى فلم تكن مطالبها تنتهى .. كانت تريد أن تشبع نهمها من كل تلك الأشياء التى حرمت منها فى الماضى ، دون أن تهتم بما إذا كانت ميزانية زوجها تسمح بذلك أم لا .

كانت تعرف كيف تعمد إلى استغلال عاطفته القوية نحوها لكى تنال ما تريده ، وكلما فكر فى التصدى لإسرافها الزائد عن الحد يجد نفسه ضعيفا أمام تأثيرها الطاغى عليه .

دخل (سمير) عليه مكتبه قائلاً :

- ما هذا يا (حسين) ؟ كل هذه المبالغ سحبتها من ميزانية الشركة دون أن تخبرنى ؟

أجابه (حسين) بارتباك :

- إنها من الاحتياطى النقدى الخاص بالميزانية .. وكنت سأخبرك بهذا الأمر .. كما أننى كنت أنوى أن أعيدها ..

قال له (سمير) غاضباً :

- متى ؟ بعد شهر ؟ بعد شهرين ؟ وكيف كنت تنوى إعادتها وأنت غارق فى الديون .. ومع كل مظاهر الإسراف والتبذير التى تبدو عليها ؟

صاح (حسين) :

- ليس من حقك أن تتدخل فى شئونى الخاصة .

قال (سمير) وهو مستمر فى غضبه :

- بل من حقى .. فقد كنت أنت نفسك تفعل ذلك معى من قبل .. هل تذكر ؟ ثم إنه حينما يتعلق الأمر بأموال الشركة التى نتشارك فى ملكيتها ؛ فإنه يحق لى التدخل .

- قلت لك سأعيد المبلغ الذى أخذته .

- من أين ؟ هل تعرف معنى أن تسحب من الاحتياطى المالى للشركة ؟

هل هذا هو (حسين) الذى كنت أعتمد عليه لإنقاذ الشركة من الضياع .. فإذا بالشركة على وشك أن تضيع على يديه ؟

- ماذا تقول ؟ أى ضياع هذا الذى تتحدث عنه ؟

إننى منذ أن توليت أمور الشركة .. استطعت أن أجعلها تقف مرة أخرى على قدميها ..

- ومنذ أن تزوجت عادت أوضاع الشركة لتتدهور من جديد .. حتى إدارتك للعمل وكفاءتك المعهودة لم تعد إلى ما كانت عليه .

(حسين) !! ماذا حدث لك ؟ هل هذا هو (حسين) الذى كان مضربًا للأمثال فى التزامه ودقته وصرامته ، فى الحفاظ على أموال الشركة ، وعلى أمواله ؟

لماذا تجعلها تفعل بك ذلك ؟ لماذا ترضخ لكل طلباتها على هذا النحو ؟ حتى تدهورت أحوالك المادية والنفسية إلى هذا الحد ؟ يجب أن تكون لك وقفة حازمة مع زوجتك .

- من فضلك كفاك اتهامًا لى ولزوجتى .

- إننى لا أتهمك ولا أتهمها بشىء .. إننى فقط حزين على ما آل إليه مثلى الأعلى .. فقد كنت دائمًا برغم اختلافنا فى كثير من الأمور مثلاً أعلى بالنسبة لى .. وأنا الآن لا أخشى على الشركة وحدها من الضياع .. بل أخشى عليك أنت نفسك من ذلك .

انتبه لنفسك يا (حسين) .. انتبه لنفسك قبل فوات الأوان !

* * *

عاد (حسين) إلى المنزل ليدخل إلى حجرة زوجته قائلاً بانفعال :

- (غادة) .. هل ذهبت إلى محل (مراد) الصائغ اليوم ؟

أجابته قائلة ببرود :

- نعم .

- وهل اشتريت منه مجوهرات بأربعة آلاف جنيه ؟

أجابته بنفس النبرة الباردة قائلة :

- نعم .. وطلبت منه أن يرسل لك الفاتورة .

- كيف تفعلين ذلك وأنت تعرفين ظروفى جيدًا ؟ لقد أوضحت لك بالأمس فقط حقيقة موقفى المالى المتدهور .. وطلبت منك أن تخففى من المصاريف التى تنفقينها وأن تراعى ظروفى .. فهل تأتين اليوم لتضربى بكل ما قلته لك عرض الحائط وتشترى مجوهرات بأربعة آلاف جنيه ؟

قالت له منفعلة :

- لقد تزوجتنى وأنت تعرف أننى أحب أن أعيش الحياة .. أرتدى أفخر الثياب وأقتنى المجوهرات .. وأذهب إلى أجمل المناطق .. تزوجتنى وأنت تعرف أننى أريد أن أعوض كل ساعة وكل دقيقة عشتها فى ذلك الحى الفقير .. وذلك المنزل المتهالك الذى كنا نعيش فيه فى (الدراسة) .. وقد وعدتنى بأن تحقق لى كل ما أطلب وتمنحنى الحياة التى تمنيتها .. أما ظروفك فلا شأن لى بها .. وأنت أدرى بطريقة معالجتك لها .

- لكن يا (غادة) .. لقد أصبحت مدينًا بمبالغ كبيرة .. كما اضطررت لأن أمد يدى إلى أموال الشركة .

قالت له كما لو أنها لا تصدق ما يقوله :

- (حسين) .. دعك من بخلك القديم هذا .

قال (حسين) معاتبًا :

- كل هذا الذى فعلته من أجلك ومازلت تتهميننى بالبخل ؟!

- أنا أيضًا ضحيت بشبابى وجمالى .. ورضيت برجل يكبرنى فى العمر بسنوات كثيرة .

- هل ترين فى زواجك منى تضحية ؟ هل نسيت أنك أنت التى سعيت وراء هذا الزواج ؟ وهل نسيت كلمات الحب التى قلتها لى وقتها .. ومشاعرك التى تخفينها نحوى ؟ والعاطفة القوية التى تحملينها فى قلبك لى ؟

قالت له وهى تحاول أن تخفف من قسوة كلماتها :

- أنت الذى جعلتنى أتحدث معك بهذه الكلمات غير الحقيقية .. إذ يبدو أنك ستظل تعايرنى دائمًا على أننى قد صرحت لك بحبى نحوك .. وأننى أنا التى طلبت منك أن نتزوج .

قال لها وهو يحيط كتفها بذراعه وقد لانت مشاعره :

- أنا لا أعايرك بذلك أبدًا .. بالعكس لقد كان ما قلته لى فى ذلك اليوم هو أجمل ما سمعته فى حياتى .. كما أن زواجى منك كان بالنسبة لى حلمًا رائعًا مازلت أعيشه حتى اليوم .. لكن ظروفى المادية أصبحت سيئة للغاية .. وعليك أن تساعدينى فى إصلاح الأمر وأن تقللى من النفقات قليلاً .

قالت له وقد عبس وجهها :

ـ حسن .. يمكنك أن تعيد المجوهرات التى اشتريتها اليوم إلى الصانع .

أطلق زفرة قصيرة :

ـ كلا يا حبيبتى .. احتفظى لنفسك بهذه المجوهرات مادامتْ قد أعجبتك .. ومادمت قد اشتريتها .. لكن أرجو أن تتوقفى عن شراء أى شىء آخر فى المستقبل أو تطالبينى بأية مشتروات أخرى خلال الفترة القادمة .. حتى أحاول البحث عن مخرج لهذا المأزق المادى الذى أصبحنا فيه

يجب أن تساعدينى يا (غادة) .. وإلا انتهى الأمر بالشركة وبى إلى الضياع كما قال لى (سمير) .

ما إن سمعت اسمه حتى انتفضت فى مكانها كما لو كان قد سرى فى جسدها تيار كهربائى مفاجىء قائلة :

ـ وما شأن (سمير) بأمورنا الشخصية ؟

ـ هل نسيت أنه شريك لى أو بمعنى أدق أنا الذى أصبحت شريكًا له ؟ وأن ما يحدث لى يؤثر بالطبع

على الشركة .. خاصة بعد أن امتدت يدى إلى ميزانيتها .

ـ أيًا كان الأمر .. فإن هذا لا يعطى له الحق فى التدخل فى أمورنا .. لابد أن زوجته هى التى أوعزت له بذلك ، لأنها تغار من أناقتى ، ومن التحسن الكبير الذى طرأ على وضعنا الاجتماعى .. فهى لا تريد أن نتساوى بهما .

ـ إن زوجة (سمير) امرأة عاقلة .. ولا تشغل بالها بمثل هذه الأمور التافهة .

قالت له منفعلة :

ـ ماذا تعنى ؟ هل تريد أن تقول إن زوجتك إنسانة تافهة ؟

ـ أنا لا أقول ذلك .. ولكن لا أريد منك أن تظلمى هذه السيدة الفاضلة .

قالت له بعصبية :

ـ إنك تبدى إعجابك بها دائمًا .. امرأة عاقلة .. سيدة فاضلة .. إنسانة تثير الإعجاب والاحترام .. كما لو لم تكن هناك امرأة أخرى فى هذا العالم سواها تستحق إعجابك واحترامك وتقديرك ..

وزوجتك .. ماذا عن زوجتك ؟ ألا ترى أننى أيضا أستحق الإعجاب والتقدير ؟ ألا ترى أنك قد تزوجت من فتاة جميلة كان الكل يحلم بأن تكون زوجة له ؟

قال لها وهو يقبل يديها :

- بل أراك أجمل امرأة رأتها عيناى .

★ ★ ★



١٥ - اخرجى من حياتى ..

رفع (حسين) سماعة الهاتف ليسمع صوت أخيه وهو يحادثه قائلا :

- صباح الخير يا (حسين) .

تهلل وجهه بالفرحة وهو يهب واقفا من فوق مقعده قائلا :

- (مجدى) ! حمدا لله على سلامتك .. متى جئت ؟

- لقد حضرت إلى القاهرة منذ ساعة واحدة فقط .

- إننى سعيد للغاية بحضورك لقد أوحشتنى كثيرا يا (مجدى) .

- إننى أريد أن أراك يا (حسين) .

- وأنا أيضا .. هيا تعال إلى منزلى وستجدنى فى انتظارك .

- كلا يا (حسين) .. إننى أريد أن أراك فى شقتنا القديمة بحى (الدراسة) .

قال له (حسين) متعجبا :

- شقتنا القديمة .. ولكن لماذا ؟
- ألا تشعر بحنين لشقتنا القديمة .. وجيراننا الطيبين ؟
- بلى .. ولكنى لا أدرى لماذا لا تريد أن تزور أخاك فى مسكنه الجديد ؟ أمازلت ...؟
قاطعه (مجدى) قبل أن يستطرد قائلاً :
- أرجوك يا (حسين) .. إننى سأبقى فى القاهرة فترة محدودة .. وإذا أردت أن ترانى فسوف أكون فى انتظارك بشقتنا القديمة الساعة السابعة ..

* * *

توجه (حسين) إلى شقته القديمة .. حيث أخذ يتطلع إلى بيت العائلة بحنين قوى .. وما إن فتح له (مجدى) الباب حتى ألقى كل من الأخوين بنفسه فى أحضان الآخر وهو يقبله بحنان أخوى جارف .
وما إن هدأت المشاعر حتى تحدث (مجدى) إلى أخيه قائلاً :
- ما هذا الذى سمعته يا (حسين) عن سوء أحوالك المادية ؟ وتلك الديون التى تراكمت عليك ؟ كيف سمحت للأمور أن تصل بك إلى هذا الحد ؟

نظر (حسين) إلى أخيه بدهشة قائلا :
- من أخبرك بذلك ؟
- شريكك (سمير) .. لقد أرسل لى فى المكان الذى أعمل به وأطلعنى على الصورة كاملة .. وفى الحقيقة لقد فوجئت بذلك .. فقد كنت دائما مثالا للحرص والاعتدال .. فما الذى أدى بك إلى هذا التدهور المادى ؟ وإلى الحد الذى يجعلك تفكر فى سحب الباقى من رصيد أموالك فى الشركة .. وتصفية شركتك مع (سمير) ؟
أطرق (حسين) برأسه قائلاً :
- لم يعد أمامى طريق آخر .. لقد تراكمت الديون علىّ .. إما أن أسدد أو أتعرض للسجن .
- كل هذا من أجل إرضاء زوجتك ؟
- إننى أحاول إسعادها .
- على حساب نفسك وإلى الحد الذى يجعلك تعرض نفسك للسجن .
- لقد عاشت (غادة) فى حرمان .. وأنا أريد أن أعوضها عن ...
قاطعه (مجدى) بانفعال قائلاً :

- ليست هي الوحيدة التي عاشت في حرمان وبؤس .. فهناك كثيرون غيرها وعندما أعطتهم الدنيا لم يصبحوا شرهين إلى هذا الحد .. لقد علمت أنها تصرف ببذخ وإسراف لا طاقة لميزانيتك به ، دون أن تعبأ بما وصل إليه وضعك المادى .

قال له (حسين) بصوت واهن :

- لقد وعدتنى بأن تتوقف عن هذا الإسراف .

- إنها لن تلتزم معك بأى وعد .. فهى تستغلك يا (حسين) وعليك أن تفهم ذلك .. لقد تحولت إلى إنسانة مادية نهمة .. كل ما يعنيها أن تأخذ دون أن تلقى اعتبارا لأى شىء آخر .. وقد كانت هذه هى شخصيتها دائما منذ أن كانت طفلة تشاركنا هذا المنزل .. لقد اعتادت دائما على الأخذ دون العطاء .

- لكنها تحبنى .

- لا أظن ذلك .

نهض (حسين) غاضبا وهو يقول :

- قل إنك أنت الذى تحقد عليها .. لأنها تركتك وتزوجتنى .. وإنك لم تنس لها ذلك بعد .

- (حسين) .. ماذا تقول ؟

- ليس لكلامك معنى آخر غير ذلك .

قال له (مجدى) معاتبا :

- أنا ؟ أنا يا (حسين) ؟ أنت تعرف أننى أحبك أكثر من أى إنسان آخر فى هذه الدنيا .. فقد كنت وستظل بالنسبة لى دائما أخى .. وأبى وكل من تبقى لى من عائلتنا التى خرجت للدنيا ولم أجد منها أحدا سواك .. ولا شىء يمكن أن يرضينى ويسعدنى سوى أن أراك راضيا وسعيدا !

احتضنه (حسين) بحرارة وهو يقول له بصوت متهدج :

- سامحنى يا (مجدى) .. لم أكن أقصد أن أسىء إليك .. فأنت أيضا تعلم كم أحبك .. وأنك ابنى قبل أن تكون أخى .

ثم تركه وهو يتهاوى على المقعد وقد انخرط فى البكاء قائلا :

- لكن ماذا أفعل ؟ إننى أحبها .. أحبها بأكثر مما يمكننى أن أصور لك ، ولم أعرف الحب وأتعلمه إلا على يديها ..

لذا أحاول أن أرضيها بأية وسيلة .. ومهما كانت

التضحيات ، حتى لا تتركنى ذات يوم وترحل .. فأنا لا أستطيع أن أتصور حياتى بدونها ..

ربت (مجدى) على كتف أخيه محاولا تهدئته ، وقد أذهله ما وصل إليه حاله .. وتحدث إليه بحنان الأخ قائلا :

- لم أكن أظن أنك تحبها إلى هذا الحد .. على أية حال اهدأ وسوف يكون كل شىء على ما يرام .

قال له (حسين) من خلال عبراته .. ودون أن يتمكن من السيطرة على انفعاله :

- إننى أعلم أن (غادة) إنسانة مادية .. وأنها تحب الحياة المترفة والمال أكثر من أى شىء آخر .. وأخشى إذا ما استمر بى الحال على هذا النحو ، ووجدت نفسى محاصرا بالديون إلى الحد الذى أعجز فيه عن تسديدها .. أن تتركنى وترحل عنى .. فهى شابة وجميلة .. وستجد غيرى كثيرين يتمنونها .

قال له (مجدى) وقد أقلقه ما وصل إليه حال أخيه .. خاصة وقد مر بهذه الظروف مثله من قبل عندما رفضت (غادة) الزواج منه .. وإن كان قد نجح فى التغلب عليها .. لكن إحساس (حسين) بفارق

السن بينه وبين زوجته ؛ ولأن هذه هى التجربة العاطفية الأولى فى حياته ؛ وجمال زوجته وتهديدها له بأنها من الممكن أن تتركه ؛ جعله مسلوب الإرادة تماما أمامها .. وضعيفا إلى درجة لم يعهدها فيه .

- على أية حال لقد تم دفع الجزء الأكبر من الديون التى عليك .. والباقى سيسدد على آجال ميسرة .

نظر إليه (حسين) بدهشة وقد توقف عن البكاء قائلا :

- كيف ؟

- لقد اتصلت بنفسى بالدائنين وتفاهمت معهم .. دفعت لبعضهم ما يدينونك به كاملا .. ودفعت للبعض الآخر جزءا من الدين .. مقابل تأجيل سداد بقية الدين لأجل طويل .. وعلى أقساط ميسرة .

- وكيف تفعل ذلك ؟

- هل نسيت أنك أخى .. وأننى لا يمكن أن أرضى أن أراك فى أزمة كهذه وأقف موقف المتفرج ؟ إننى ما زلت أحتفظ بثمن الفدان الذى بعته لى .. وقد استخدمته فى تسوية الديون لأننى لا أحتاج إليه الآن ..

- لكن هذا كثير .

- بل هو قليل جدا بجوار ما قدمته لى ، وما فعلته من أجلى .

عاد (حسين) ليحتضن أخاه بحرارة قائلا :

- لن أنسى لك هذا أبدا .

أمسك (مجدى) بكتفى أخيه قائلا :

- المهم .. أن تهتم بالمحافظة على ما هو بين يديك الآن .. ولا تفكر أبدا فى التخلى عن عملك وشركتك التى تحبها .

هناك أيضا خبر سعيد أريد أن أزفه لك .. فموضوعك ليس هو الشىء الوحيد الذى أتى بى إلى القاهرة .. ولكن هناك شىء آخر .

- وما هو ؟

- لقد قررت أن أتزوج (نهلة) وأريد منك أن تخطبها لى .

- (نهلة) بنت الأستاذ (منصور) ؟

ابتسم (مجدى) قائلاً :

- وهل هناك سواها ؟

ارتسمت ملامح الفرحة على وجهه ، وهو يقول له :

- إنه أسعد خبر سمعته منذ فترة طويلة .. ولم أكن لاتمنى لك فتاة أفضل منها .

* * *

عاد (حسين) إلى منزله حيث سمع صوتا يأتى من حجرة استقبال الضيوف .. فأرهف السمع .. كان صوت زوجته تتحدث إلى أحد الأشخاص وسرعان ما تبين أن هذا الشخص هو (سمير) .

قالت (غادة) بصوت منفعل :

- ما الذى أتى بك الآن ؟

قال (سمير) :

- جئت لاقول لك أن تتوقفى عما تفعلينه بـ (حسين) .. كفاك إسرافا وبذخا .. فقد تراكمت الديون على الرجل وأصبح مهددا بالسجن .

وما شأنك بذلك ؟

- إن (حسين) شريكى فى العمل وهو صديقى أيضا .. وكل ما يؤثر عليه يؤثر علىّ أنا أيضا .. لقد أرسلت لاستدعاء أخيه لكى يحاول أن يتفاهم معه .. وجئت إليك لأطلب منك مساعدته أيضا .. هذا إذا كان زوجك يهمك .

صاحت قائلة :

ـ إن زوجى لا يهمنى فى شىء .. وأنت السبب فى زواجى منه .

نظر إليها باستنكار قائلا :

ـ أنا ؟

ـ نعم .. لو لم تتخل عنى وتتراجع عن وعدك بالزواج منى .. لما فكرت فى الزواج من (حسين) لكى أنتقم منك .. وأرد لك الصفعة التى صفعتنى إياها ذات يوم .. وأنت تأبى على نفسك الزواج من فتاة فقيرة مثلى من عائلة متواضعة .

ـ إنك لم تنتقمى إلا من نفسك .. وزواجك من (حسين) لم يكن يعنى لى شيئا .. إن ما يعنينى الآن حقيقة هو أن تحافظى على اسم وكرامة الرجل الذى تزوجته .. والذى هو فى نفس الوقت صديقى .

اقتربت منه قائلة :

ـ لكنى أحبك أنت .

تراجع إلى الوراء وهو ينظر إليها فى ازدراء قائلا :

ـ كيف تجرؤين على قول ذلك ؟ أنت الآن امرأة متزوجة .

قالت له فى أسى :

ـ زواجى من (حسين) كان خطأ كبيرا .. وكفانى ما دفعته ثمنا لهذا الخطأ .. إن المال والحياة المترفة التى عشتها خلال العامين الأخيرين لم يمنعانى من التفكير فيك وفى حبى لك .. فأنت الشخص الوحيد الذى أحببته يا (سمير) .

قال لها غاضبا :

ـ لا أدرى أية مخلوقة أنت .. بعد كل ما فعله (حسين) من أجلك تستهينين بكرامته .. وبحبه لك إلى هذا الحد ؟!

ـ أنا مخلوقة من لحم ودم .. مخلوقة تحب وتخطئ كبقية البشر .. لقد أحببتك .. وأخطأت بزواجى من (حسين) .. وأنا لا أريد الاستمرار فى هذا الخطأ .. فأنا لا أستطيع أن أمنع نفسى من التفكير فيك ، وزواجى من (حسين) لم يجعلنى أنساك .. ولم يجعلنى أتخلص من حبى لك .

ـ وما الذى تريدينه منى الآن ؟

ـ علينا أن نصحح هذا الخطأ .. تنفصل أنت عن

زوجتك وأنفصل أنا عن زوجى .. ليعود كل منا للآخر .. خاصة وأنه ليس لدينا أبناء .. ومن الممكن ...

قاطعها (سمير) وهو يصيح بغضب قائلا :

ـ كفى ! إننى لا أدرى كيف سمحت لنفسك أن تفكرى بهذه الطريقة ؟

أنا أحب زوجتى ولن أنفصل عنها أبدا مهما حدث .. أما أنت فيتعين عليك أن ترضى باختيارك .. وأن تعملى على إسعاد الزوج الذى يحبك .. ويضحى من أجل رفاهيتك وإسعادك .

صاحت فى وجهه قائلة :

ـ لكننى لا أحبه ! لقد سئمت تمثيل دور الزوجة المحبة .. إننى لا أحبه .. لا أحب أحدا غيرك .. ألا تفهم ذلك ؟ ألا يمكنك أن تقدر مشاعرى نحوك ..

نهض (سمير) واقفا لينصرف قائلا :

ـ أنا راحل ! لا يمكننى أن أبقى وأسمع المزيد من هذا الكلام .

لكنه تسمر مكانه وقد رأى (حسين) يظهر أمامه فجأة .

بينما تراجعت (غادة) إلى الوراء فى ذعر وفزع .

قال (حسين) بهدوء :

ـ مع السلامة يا أستاذ (سمير) .

قال له (سمير) :

ـ لابد أنك قد سمعت الحوار الذى دار بيننا بنفسك .. وعرفت أننى برىء من أى اتهام يدور بخلدك .. عدا أننى لم أخبرك بعلاقتى السابقة بها ..

قال له (حسين) دون أن يتخلى عن هدوئه :

ـ نعم .. لقد سمعت كل شىء مع السلامة يا أستاذ (سمير) ..

انصرف (سمير) من المنزل ..

بينما اقترب (حسين) من زوجته التى ظلت تحدق فيه فى ذعر .. وقد احتبست الكلمات فى جوفها

وما لبث أن انهال على وجهها بصفعة قوية جعلتها تصرخ من شدة الألم .. قائلا :

ـ سافلة .. حقيرة .

ثم جذبها من شعرها وهى تصيح متألمة ليفتح باب المنزل ويدفع بها إلى الخارج قائلا :

ـ هيا .. غادرى هذا المكان .. ولا تعودى إليه أبدا .. أنت طالق .. طالق .. طالق !

* * *

توقفت (غادة) عن متابعة شريط الذكريات الذى مر أمامها سريعًا فى هذه اللحظة ، وهى ترى (مجدى) يغادر المنزل متأبطًا ذراع عروسه (نهلة) وقد علت الزغاريد وانطلقت الدفوف تزفهما وهما يستقلان السيارة التى يقودها زوجها السابق .

وارتسمت ابتسامة حزينة على وجهها وهى تتأملهما .. إن كليهما يستحق الآخر .. فكلاهما يمتلك نفسًا نقية لا تعرف الطمع .. ولا الغدر ولا الخيانة ولا الجشع .. أما هى فلم تكن تعرف سوى أنها فتاة جميلة .. وأن جمالها هذا يجعلها تستحق ما هو أفضل دائمًا بغض النظر عن أى اعتبارات أخلاقية أو إنسانية .. إنها لم تحب أحدًا سوى نفسها .. حتى (سمير) .. لم يكن حبها له حبًا حقيقيًا .. لكنه كان يمثل بالنسبة لها الأمل الذى عجزت عن أن تحققه ذات يوم .. وقد اعتادت دائمًا على أن تحصل على ما تريده .. فلم تستطع أن تتقبل فكرة عدم حصولها على الشخص الذى أرادته .. ولم ترض بالرجل الذى أحبها وانتشلها من هاوية الفقر التى كانت تسعى دائمًا للهروب منها برغم كل ما قدمه من أجلها ..

لقد اعتادت على أن تأخذ دائمًا .. ولم تعرف كيف تعطى .. اعتادت على ألا تحب أحدًا سوى نفسها .. ففقدت من أحبته ومن أحبها .. ولفظها الجميع حتى أمها .. فلم يفدها جمالها بشىء .

وانخرطت فى بكاء حار ، وهى ترقب السيارة التى تحركت بالعروسين .. وما لبثت أن لمحتها أمها من بعيد وهى بين جيرانها .. فانسحبت من بينهم لتلحق بابنتها .

حاولت (غادة) أن تبتعد .. لكن الأم تمكنت من اللحاق بها واعترضت طريقها قائلة :

ـ (غادة) .. أين كنت يا بنيتى ؟ وإلى أين تذهبين ؟

نظرت (غادة) إلى أمها مترددة وقد تدفقت العبرات غزيرة من عينيها .. لكنها اقتربت منها وهى تفتح ذراعيها قائلة لها بلهجة حانية :

ـ تعالى يا بنيتى .. اقتربى .. فلم يعد لك مكان الآن سوى أحضان أمك .

ظلت (غادة) مترددة للحظات ..

ثم ما لبثت أن ألقت بنفسها بين أحضان أمها ..

وقد ارتفع صوت نحيبها ، وعجزت عن مقاومة العبرات التى تدفقت من عينيها .. بينما احتضنتها أمها بحنان قائلة لها وهى تمسح على شعرها :

- ابكى يا بنيتى .. ابكى .. لعل البكاء يطهرك من شرور نفسك .. ويجعلك ترين الحياة بمنظار آخر غير الذى عرفتها به ..

واستمرت (غادة) فى البكاء وهى تلوذ بأحضان أمها ..

* * *

(تمت بحمد الله)

زهور

— سلسلة رومانسية رفيعة المستوى —

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب

أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

المؤلف



أ. شريف شوقي

فتاة جميلة

لم تعرف (غادة)
سوى أنها فتاة جميلة ،
وأن جمالها هذا يجعلها
تستحق ما هو أفضل دائمًا ..
فأرادت استغلال جمالها ؛ لتحقيق
مآربها .. اعتادت الأخذ دون
العطاء .. فوجدت نفسها ذات
يوم وقد تخلى عنها كل
من أحبوها ..

78

الثمن في مصر ١٥٠ مـ

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم